



عاما في مجال الصحافة الهادفة

ISSN 2347-2456



شعارنا الوحيد إلى الإسلام موجد

البعث الإسلامي

رجب - شعبان ١٤٤٧هـ - يناير - فبراير ٢٠٢٦م

العدد الثالث - المجلد الثاني والسبعون

● واقع الإسراء والمعراج توطيد لدعائم التوحيد والإيمان (افتتاحية العدد)

● درس من الحوادث

● نصرة النبي صلى الله عليه وسلم

● كيفية تربية الأبناء في ضوء القرآن الكريم

● السنة النبوية وأهميتها في العقيدة الإسلامية

● بطاقات الهدايا في الشريعة الإسلامية

● السلطان عبد الحميد الثاني وقضية فلسطين

● العوربة مقابل العولمة في الواقع المعاصر

● أرض فلسطين أرض المرابطين الباسلين

● نوع جديد من الشعوبية



تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب-٩٣، لکناؤ- الهند

If undelivered please return to:

Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat, Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.

Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تقتدر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بباطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من ثراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام (سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

● في الهند

أربع مائة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
ثمانية مائة (بالبريد المسجل)	٨٠٠ / روبية
ثمان النسخة	٤٠ / روبية

● في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم :

٧٥ / دولاراً بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

● المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك : باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846

IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157

STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣ ، لکناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA

P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد



البعث الإسلامي

Jan, Feb 2026

مجلة إسلامية شهرية جامعة

يناير - فبراير ٢٠٢٦م

العدد الثالث - المجلد الثاني والسبعون - رجب - شعبان ١٤٤٧هـ - يناير - فبراير ٢٠٢٦م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حياة نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع الناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناول الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزداد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم. الإمام العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيه الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسن رحمة الله تعالى
في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد
بلال عبد الحى الحسيني الندوي

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg,
Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد الثالث – المجلد الثاني والسبعون – رجب – شعبان ١٤٤٧هـ – يناير – فبراير ٢٠٢٦م

❖ أخي القارئ !

وشهد شاهد من أهلها ٥ مدير التحرير

❖ الافتتاحية :

واقع الإسراء والمعراج توطيد لدعائم التوحيد والإيمان ٦ سعيد الأعظمي الندوي

❖ التوجيه الإسلامي :

درس من الحوادث ١٠ العلامة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله تعالى

❖ الدعوة الإسلامية :

نصرة النبي صلى الله عليه وسلم ١٣ الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسيني الندوي

كيفية تربية الأبناء في ضوء القرآن الكريم ١٧ د . عبد الحكيم الأنيس

السنة النبوية وأهميتها في العقيدة الإسلامية ٢٤ الدكتور / ك . ت . شكيب

❖ الفقه الإسلامي :

بطاقات الهدايا في الشريعة الإسلامية ٣١ الأستاذ عبد الله فهمي

بيع المدوم وما يتعلق به من قضايا معاصرة ٤٠ د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي

❖ دراسات وأبحاث :

السلطان عبد الحميد الثاني وقضية فلسطين ٤٧ الأستاذ المفتي عتيق أحمد البستوي

المجاز صورته وألوانه بين النظرية والتطبيق ٥٥ الدكتور محمد أيوب الرشدي

العنصرية مقابل العولمة في الواقع المعاصر " دراسة تحليلية نقدية " ٦٣ أ . د . / مفيدة إبراهيم علي عبد الخالق

إنجازات ندوة العلماء في قواعد اللغة العربية ٧٠ د . محمد عيسى الندوي

أرض فلسطين أرض المرابطين الباسلين ٧٦ د . أصغر محمود الندوي

❖ أدب الرحلات :

رحلة إلى الأردن بين المقدسات والمعالم ٨٣ الأخ الأستاذ السيد عبد العلي الحسيني الندوي

❖ رجال من التاريخ :

العلامة محمد الرابع الحسيني الندوي رائد الصحافة العربية والإسلامية في الهند ٨٦ د . غياث الإسلام الصديقي الندوي

❖ صور وأوضاع :

نوع جديد من الشعوبية ٩٣ محمد فرمان الندوي

❖ أخبار علمية وثقافية :

رابطة الأدب الإسلامي العالمية تعقد ندوتها الحادية والأربعين في كولكاتا (الهند) ٩٧ الأخ أحمد الحسيني

ندوة علمية حول شخصية العلامة الكشميري وإسهاماته العلمية ٩٩ الأخ محمد أرقم السنديلوي

❖ إلى رحمة الله تعالى :

١ . العالم الرباني الشيخ ذو الفقار النقشبندي إلى رحمة الله تعالى ١٠١ قلم التحرير

٢ . الأستاذان محمد داؤد الندوي وحبيب أشرف إلى رحمة الله تعالى ١٠٢ " " "

٣ . مؤذن المسجد النبوي الشيخ فيصل بن عبد الملك النعمان إلى رحمة الله تعالى ١٠٣ " " "

وشهد شاهد من أهلها

"إسرائيل لا تمثل اليهودية ، وتُلحق أضراراً جسيمةً باليهود ، لقد عشنا أفضل أيامنا تحت الحكم الإسلامي ، وأدعو شباب إسرائيل للمغادرة " ، هذا ما قاله حاخام يهودي يسمى بديفيد فيلدمان ، وهو ينتمي إلى "منظمة ناطوري كارتا" التي تتأهض الصهيونية ، الواقع أن هذا البيان ليس رمزياً ، ولا عابراً ، ولم يصدر عفو الساعة ، بل إنه مواجهة شديدة ، وتحذ صارخ لما يقوم به الاحتلال على أرض فلسطين ، وقد نطق بذلك حاخام يهودي ، و "صاحب البيت أدري بما فيه " .

اعترف فيلدمان بكل صراحة : بأن المسلمين قد احترموا اليهود في فترات مختلفة من التاريخ ، وقد أثبتت التجربة التاريخية فشل الدولة اليهودية ، بينما أثبت الحكم الفلسطيني بما في ذلك الحكم الإسلامي ، قدرته على حماية اليهود واحترام ديانتهم ، وإن ما يتعرض له الفلسطينيون من الإبادة الجماعية ، ليس مجرد انتهاك للقانون الدولي ، بل إنه جرائم محرمة في التعاليم اليهودية ، فليس القتل والسرقة ، والظلم والاضطهاد مسموحاً به في الديانة اليهودية ، فنظروا إلى هذا ينبغي لشباب إسرائيل أن يغادروا إسرائيل .

هذه سنة الله في الكون أنه لا يزال يقيض حيناً لآخر رجالاً ، يبدون كلمة حق ، ولا يبالون في ذلك لومة ولا سبة ، ولا يراعون فيه نقداً ولا استككاراً ، بل يأتون بالقول الفصل ، حتى يتبين للناس حقيقة الأمر ، ويدركوا الواقع الملموس ، فهذا البيان الصادر من فيلدمان ليس جديداً من نوعه ، بل أبدى قبل ذلك كثير من المنصفين الذين يتقززون من أعمال وحشية لإسرائيل ، ويدعون بكل قوة أن إسرائيل مصدر الإبادة الجماعية ، وقد نشرت صحيفة هآرتس العبرية مقالاً للكاتب الصهيوني آري شبيت قبل شهور ، قال فيه : "يبدو أننا نواجه أصعب شعب في التاريخ ، ولا حل معهم سوى الاعتراف بحقوقهم وإنهاء الاحتلال ، وإذا كان الوضع كذلك فإنه لا طعم للعيش في هذه البلاد ، وليس هناك طعم للكتابة في هآرتس ، ولا طعم لقراءة هآرتس " .

هذه التصريحات تؤكد ما تعيش إسرائيل من فشل ذريع وانهازمية داخلية ، وتدل على أن مستقبل إسرائيل ليس مرجواً ، بل إنه في احتضار ، وستلقى حتفها على عجل بإذن الله تعالى ، ولا يكون لها عين ولا أثر ، وإنها تقرب من لعنة العقد الثامن ، التي تتبأ عنها التلمود بأنه لا تستقر دولة لإسرائيل أكثر من ثمانين سنة .

مدير تحرير المجلة
غرة رجب ١٤٤٧هـ

واقع الإسراء والمعراج توطيد لدعائم التوحيد والإيمان

كان واقع المعراج الذي خص الله به سيدنا ونبينا محمداً دون سائر الأنبياء والمرسلين (عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين) آخر آية للسمو البشري الذي امتازت به أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورمزاً واضحاً إلى الصلة المباشرة القوية التي تربط العبد مع المعبود في كل حاجة ولدى كل دافع ، وفي جميع التطلعات والتساؤلات والمشكلات والأزمات ، فبينما كانت الديانات الأخرى والمذاهب المطردة قبل مجيئ النبي صلى الله عليه وسلم تحرم الإنسان أن يتصل بربه في أشواقه وحوائجه ، إلا بواسطة الكهنة أو رجال الدين الذين كانوا يعتبرون الشخصية المرضية ، عند الله دون العامة ، إذا بالإسلام جاء ، فهدم جميع هذه الاعتبارات الواهية والحواجز المصطنعة ، وأعلن أنه لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ، كلكم من آدم وآدم خلق من تراب ، وهناك عاد الإنسان ولم يعد بينه وبين ربه واسطة ، ولم يعد بحاجة إلى رجال الدين أو السماسرة الذين كانوا يتصيدون الناس ويتوسطون بينهم وبين الله تعالى في أمورهم وضروراتهم ، ثم غالباً كانوا يأخذون منهم ثمناً غالياً لهذا التوسط والسمسرة .

لقد كانت هذه المصيبة عامة في عهد هؤلاء المحترفين بالدين والمتاجرين باسم الله تعالى ، وما كان أحد يظن أن الاتصال بالله تبارك وتعالى والتتاجي معه ، وبث الأشواق والأحزان ومد يد السؤال

إليه يمكن من غير واسطة ، بل إن الله تعالى قد أقام سماسرة ، لكي يتقرب إليه الإنسان عن طريقهم ويطلب منه حاجاته بواسطتهم ، فإذا ما أنجزت حوائجهم وتم ما كانوا يريدون من فرج وعافية وجب أن يتقاضى أولئك ما بدا لهم من أموال وأعراض .

ولكن الله تعالى أراد أن يزيل هذا الظن الخاطئ والفهم الزائف عن طريق نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بدعائه إليه وتقريبه إلى جلالته ، بحيث لا يكون بينه وبينه أي واسطة ، وإنما يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم بما يطلع عليه الناس ، ويعرفون أن الله ليس بينه وبين عبده حاجز ، بل الصلة مباشرة ، والدعاء مسموع ، والمناجاة مسموحة والابتهال مطلوب ، وأن الله أقرب إليه من حبل الوريد ، وقال وهو يخاطب نبيه في هذا الشأن : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة ، الآية : ١٨٦] .

دحض واقع المعراج جميع تلك النظريات الباطلة التي كانت تفرض بين الله تعالى وبين عبده واسطة ، وكانت تتخذ هذا الافتراض الخاطئ ذريعة للاحتراف والتكسب والتجارة الخبيثة ، وأثبت أن الله مع كل عبد ، وفي كل دعاء وثناء وتضرع وابتهاال ، وهو أسرع إلى استجابة دعوات العباد في كل وقت ، ما دامت مراعية لأدابها ومخلصة في غاياتها ، وصادقة في طلباتها .

وصل النبي صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء والمعراج إلى سدره المنتهى حيث رأى ما رأى ، ونال ما نال من الشرف والكرامة .. وكل ذلك في سبيل إسعاد أمته ، ورفع معنويتها ، وتعظيم شأنها ، ومن هنالك انتهت خرافة الوساطة ، بين العبد والرب تبارك وتعالى : تلك التي كانت شائعة قبله ، وعامة في أوساط الناس السابقة .

ومن هنالك " توطدت نظرية التوحيد " وتلاشت وسائل الشرك والانحراف ، وعرف الناس أن ربهم أقرب إليهم يسمع ويرى ،

ويقضي ويستجيب ، ولا راد لما قضاه ، ولا مانع عما أعطاه ، ولا معطي لما منعه .

وكلما ضعفت الصلة بين العبد والرب ، راجت ألوان من الشرك وأنواع من الخرافات والبدع ، وأقبل الناس على اتخاذ الوسائط ، فمنهم من يقبل على القبور والأموات ، ويجعلهم ذريعة لإشباع نهمته ، ومنهم من يلتجئ إلى عمليات " العاملين المحترفين " ، ومن يقدم النذور والقرايين باسم ولي أو نبي ، ويزعم أن ذلك يتكفل بقضاء مآربه ، ويحقق غاياته .

وتلك هي الناحية الشيطانية المشركة التي نالت قبولاً وإعجاباً في الأمم السابقة ، ولعبت الأهواء بعقول الناس من جرائها ، وهي التي تؤدي إلى الشرك الجلي ، وتجلب غضب الله تعالى .

وتلك هي التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يقضي عليها بمثال عملي واضح فأرسل إلى نبيه وأسري به ، ثم عرج به إلى السماوات العلى وإلى سدرة المنتهى ، فأوحى إليه ما أوحى ، وصدق الله العظيم ، حيث قال : (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَوَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) [النجم : ٨ - ١٨] ، إن هذا الحدث التاريخي العظيم الذي لا ينساه التاريخ البشري على طول مداه إنما يوحي إلينا أسرار الله البالغة في الكون والإنسان ، ويشير إلى عبر ومواعظ تملأ القلوب رهبة ورغبة ، وتشحن النفوس بعجائب قدرة الله التي أودعها في نفس الإنسان ، وبما أكرمه الله تعالى به من مكانة الخطاب القدسي ، ومنصب الخلافة الإلهية .

إن هذا الحدث التاريخي العظيم ليس إلا انطلاق الإنسانية من حضيض المادة والشهوات إلى أوج الروحانية وسمو النفس ، والتحرر من قيود الحدود والشغور المصطنعة للاتصال بذات الله ، والخروج من

عبادة غير الله لالتهجاء إلى حظيرة الله ، والتخلص من إيسار الشيطان إلى كنف الرحمن . إن لفلسطين صلة ماسة بذكرى الإسراء ، وإن النكبة التي احتلت بها لم تعد خافيةً على العالم الأقصى والأدنى ، وهي لا تزال تعاني من الاحتلال الصهيوني ، والاستعمار اليهودي ألواناً وأنواعاً من العذاب والاضطهاد ، والظلم والوحشية ، ويذوق أهلها الآن من التتكيل والتشريد على يد الشرذمة اليهودية ما لا حد له ولا نهاية ، ويتألم العالم الإسلامي كله بهذه المأساة ويبكي دماً ، وينتظر ذلك البطل العصامي الذي ينقذ أهل هذه الأرض المقدسة من ظلم الأفاكين ، وجور الشذاذ من حثالة البشر .

إن هذا البطل العصامي كامن في جماعة المؤمنين أولي الأيدي والأبصار ، وموجود في وطننا الإسلامي ، ولكنه ينتظر أمر به بالجهاد ، ويتربص صوت النفير وساعة الصفر ، حتى إذا نادى منادي الجهاد وثب إلى ساحة القتال ، وتعارك مع العدو القاعد بالمرصاد ، ولم ينته من المعركة ما لم يطرد العدو الغادر ، وأنقذ الأرض السليبة ، وحرر الشعب المضطهد ، وأقام حكم الله تعالى ، وبسط العدل والأمن في الأرواح الخائفة ، والقلوب المضطربة ، والنفوس القلقة .

إن فلسطين تتادي أولئك الأبطال المغامرين والمؤمنين المخلصين الذين يحررونها من وطأة اليهودية الرجسة ، ويطهرونها من الأراذل النجسة ، وينقذون أهلها من عذاب الحصار والتدمير، وخنق النفوس والأرواح من غير تبرير ، إن فلسطين الجريحة المنكوبة تتنادينا ، فهل من مجيب ؟؟

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٤٧/٦/٢٩ هـ

٢٠٢٥/١٢/٢٢ م

درس من الحوادث

العلامة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسن الندوي رحمه الله تعالى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

فإن موضع الساعة هو الموضوع الملهب كما يقال بالإنجليزية (Burning Topic) ، وكالسيف المصلت على الرؤوس ، إن هذه الحياة التي يعيشها كثير من الناس في بلادنا الإسلامية والعربية ، حياة ما أنزل الله بها من سلطان ، وما تكفل الله لها بتأييد ونصر ، هذه الحياة لا تصلح للبقاء طبيعياً وعقلياً ، ودينياً وخلقياً ، هذه الحياة اللاهية الساهية ، هذه الحياة الباذخة المترفة ، هذه الحياة التي مثلها الأعلى المادة والمعدة ، هذه الحياة التي تدور حول فرد واحد ، أو حول أسرة واحدة ، أو حول طبقة واحدة ، هذه الحياة لا تصلح للبقاء إذا تركت وشأنها ، ولم تنزل صاعقة من السماء ، ففي هذه الحياة من عناصر التدمير ، ومن عناصر الشقاء ما يكفي للقضاء عليها ، لا تحتاج في ذلك إلى عامل خارجي ، الشرارة إذا كانت كامنة في حطب ، فلا تحتاج إلى إشعال نار ، لا تحتاج إلى مروحة تحرك ، أو يد قوية تشعل ، الشرارة وحدها تكفي ، إن طبيعة الشرارة أن تلهب وتتحرق .

هذه الحياة لا تستحق التأييد والنصر من الله تبارك وتعالى ، لأن الله سبحانه وتعالى هو العدل البر الرحيم ، وهو العزيز الحكيم ، وهو رب العالمين ، ليس رب أمة ، وليس رب شعب ، وليس رب بلد ، وليس رب مجتمع ، إنها ليست حاجات يجوز أن تكمل ويجب أن تحترم ، إنما هي نهامة بالمال ، إنها معدة خيالية لا وجود لها إلا في التصورات ، لا وجود لها إلا في الأرقام ، وفي حسابات البنوك ، إذا تولدت هذه المعدة الخيالية في مجتمع ، وكانت هي الحاكمة ، كانت هي الآمرة والناهية ،

اكتسحت المجتمع موجة عارمة من التنافس المادي والجشع المالي ، والفوضى الخلقية ، والقسوة والوحشية ، هنالك يأذن الله بزوال هذا المجتمع وينطبق عليه قوله تعالى : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا) . إن أخوف ما أخاف على هذه المناطق التي أكرمها الله بالثروات والخيرات وأدر عليها الرزق الوفير والخير الكثير ، هو " البطر " ، إنني إذا قرأت قوله تعالى : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) أخذتني رعدة ، وملكني الإشفاق والحذر على هذه المجتمعات السعيدة التي تعيش في عصر " ألف ليلة وليلة " وفي عصر الأساطير والأخيلة ، إن أخوف ما أخاف عليها ليس هو العدو الخارجي ، لكن هو العدو الكامن في النفوس ، الجاثم على المجتمع ، هو الذي أُنذر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً في خطبته على جبل الصفا حيث قال : " إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " .

إن أحد نوابغ هذا العصر وكان إسرائيلي السلالة ، يهودي الديانة ، غربي النشأة ، وهو محمد أسد النمساوي الذي كان يسمى سابقاً بليوبولد ويس Leopold Veiss يحكي قصة إسلامه فيقول : إنني كنت مسافراً في سنة ١٩٢٦م في قطار برلين تحت الأرض ، وكانت معي زوجتي ، وهي رسامة وفنانة ، كانت ذكية جداً ، وقد لاحظت أن كل زملائي في هذه الدرجة مكتئبون تعلو وجوههم كآبة ، ويغشاها قتام ، وكان ما يحملونه من متاع ويلبسونه من ملابس ، ويتحلون به من خواتم ، يدل على أنهم من الطبقة المثرية في البلد ، وكان الزمن زمن الرخاء الذي عقب سنوات " التضخم " في أوروبا ، فأنا تحيرت ، وفكرت ، وقلت : لماذا هذه الكآبة ، وما سبب هذا الحزن العميق الذي هم غارقون فيه ؟ ولفت نظري زوجتي ، وقلت : يا عزيزتي ! انظري في وجوه هؤلاء القوم ، ألا تشعرين بأنهم تعلوهم الكآبة ؟ قالت : نعم ، إنهم جميعاً يبدوون وكأنهم يعانون آلام الجحيم ، أردت أن أفسر هذه الظاهرة ، فلم أنجح ، ورجعت إلى مكتبي ، فإذا بالمصحف على منضدتي ، فأخذته من غير قصد وفتحت من غير اختيار ، فإذا بسورة التكاثر تطالعني ، ويقول الله تبارك وتعالى : (أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ .

كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوْهَا غَيْنَ الْيَقِينِ . ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) .

وكنيت متردداً هل أدخل في الإسلام ، أو لا أزال أشرحه ، وأعرضه في الأسلوب العلمي العصري كما كان شأني ، ولم أكن قررت بعد أن أعتق الإسلام ، ولما قرأت هذه السورة ، قلت : والله إن هذا الكلام لا يأتي بها إلا من ينزل عليه الوحي ، هذا الكلام لا يقوله بشر قبل ثلاثة عشر قرناً ، إنه يصور المجتمع الغربي المعاصر الراقي بقسماته ومخايله ، ويتبأ بالعذاب النفسي الذي يتميز به هذا القرن العشرون رغم رقيه الصناعي والحضاري ، ويعين مصدر هذا العذاب والشقاء الذي كان يعانيه ركاب القطار الذين رافقتهم ، ويعانيه المجتمع الأوروبي بشكل عام وهو " داء التكاثر " لا غير ، فمن ساعتني خرجت إلى صديق لي مسلم هندي ، وقلت : يا أخي ! ماذا يفعل من يريد أن يدخل في الإسلام ؟ قال : يقول " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله " فنطقت بالشهادتين وأصبحت مسلماً ! اقرأ القصة بطولها ونصها في " الطريق إلى مكة " لمحمد أسد ، ص ٣٢٧ - ٣٢٩ ، ولقد لخصتها في المحاضرة اعتماداً على ذاكرتي [.

إخواني ! أنا أوصي أولاً نفسي وإياكم بعد ذلك ، أن نعتبر بالحوادث التي تقع حولنا ، وأن نغير نفوسنا قبل أن تغيرنا العوامل القاهرة ، المفروضة علينا في الداخل ، أو الواردة إلينا من الخارج التي تجوس خلال الديار ولا ترحم أحداً ، ولنجعل المثل الكامل هو الحياة الإسلامية العادلة المؤسسة على إيثار الآخرة على الدنيا ، المؤسسة على الحقائق الغيبية الدينية ، والمثل الخلقية ، والمبادئ الفاضلة ، ونحترز من الذنوب والكباير ، وقد كتب سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى قائد جيشه فقال : " أمره ألا يكون من شيء من عدوه أشد احتراساً منه لنفسه ومن معه ، من معاصي الله ، فإن الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم ، إنما نعادي عدونا وننصر عليهم بمعصيتهم ، ولولا ذلك لم يكن لنا قوة بهم ، لأن عدونا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فلو استوتينا نحن وهم في المعصية كانوا أفضل منا في القوة والعدد ، فإلا نتنصر عليهم بحقنا لا نغلبهم بقوتنا ، ولا تكونوا لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم " [سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم] .

نصرة النبي صلى الله عليه وسلم

الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي

تعريب : الأخ نعمت الله قاسم الندوي

ويكتب المفكر المسيحي بنفسه قائلاً : " إن تعاليم النبي عيسى عليه الصلاة والسلام كلها إذا جمعت لم تتجاوز عموداً ونصفاً من صحيفة " .

لقد وعد الله تعالى بحفظ هذا الدين ، وأعدّ لنصره جماعة الصحابة المقدسة ، فقد نهلوا من منهل سيرته في حياته ، وأصبحوا ممثلين صادقين لسيرته ، مستعدين لفدائه بأنفسهم ، واهتموا براحته اهتماماً لا مثيل له في نشر دينه وتعاليمه وتوجيهاته في أرجاء العالم ، وأصبحوا نموذجاً حياً خالداً في نصرة نبيهم وتأييد دينه وشريعته . وفي مناسبة غزوة أحد التي كانت تتطلب تضحية وفداءً للنفس فداه أصحابه بأنفسهم وسكبوا لحفظه وصيانته دماءهم . وكانت المشاكل والأخطار محدقة حتى بعد الهجرة إلى المدينة ، فأصبحوا حفظة له ، متأهبين لنصرته ، مستعدين لحمايته وتعزيزه بتقديم الأموال والنفوس كل لحظة وأن .

وقد تمكن حبه من سويداء قلوبهم ، وتغلغل في أحشائهم ، فعشقه كل العشاق ، وأحبوا أن يضحوا بأنفسهم بدل أن يُشاك له شوكة ، وببذلوا في سبيل دينه ومهمته كل ما كانوا يملكون .

فروى الإمام الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، فوافق ذلك عندي مالا ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً . قال : فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أبقيت لأهلك ؟ " قلت : أبقيت لهم مثله . وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال : يا أبا بكر ! ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله . قلت : لا أسبقه إلى شيء أبداً . (سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، الحديث : ٤٠٠٧ ، ج : ٦ ، دار الرسالة العالمية ، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ) . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

ومن أصحابه الأجلة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، إنه فتح

أبواب العطاء والسخاء حتى قيل عنه : " مجهز جيش العسرة " . (وقد روى الإمام البخاري في صحيحه في مناقب عثمان بن عفان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من جهّز جيش العسرة فله الجنة " . فجهزه عثمان) .
واليكّم الحديث الذي يسلط الضوء على توضيحات الصحابة بالأموال امتثالاً لأمر نبيهم : روى مسلم في صحيحه عن المنذر بن جرير ، عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار ، فجاء قوم حفاة عراة مجتأبي النمار أو العباء متقلّدي السيوف ، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر ، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالاً فأذن ، وأقام فصلى ، ثم خطب فقال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) إلى آخر الآية ، ثم قال : (اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) ، ثم قال : تُصَدِّقُ رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بُرّه ، من صاع تمره ، حتى قال : ولو بشق تمرة .

قال : فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ، قال : ثم تتابع الناس ، حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة . (صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ، الحديث : ١٠١٧) .

لقد قدّم الصحابة الأنصار في الإخاء والمؤاساة والإيواء نموذجاً لم يشهد التاريخ مثله في قديمه وحديثه من الزمان ، فنالوا بفضل نصرهم المهاجرين لقب " الأنصار " ، لقباً فاق كل انتماء إلى جماعة أو قبيلة أو أسرة .

أما المهاجرون فهم الممثلون لأمره ، المؤيدون الصادقون الأولون لدينه في مطلعه .

لقد فقه العلماء أن حق نصرته ونصرة دينه حق عظيم عليهم تجاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا ولا يزالون يحاولون أدائه بأحسن طريق . وكلما مُست كرامة النبي صلى الله عليه وسلم أو تعرّض دينه للظعن ، نهض رجال غيارى على الدين والملة ، وبذلوا ما منحهم الله تعالى من مواهب وكفاءات في الذود عن النبي والدفاع عن دينه وصيانة شريعته ، فاستحقوا بفضل ذلك رضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وإن هذه السلسلة لم تنقطع منذ سيدنا أبي بكر الصديق الذي كان شعاره : " أينقص الدين وأنا حيّ ؟ " والصحابة الأبرار ومن تبعهم بإحسان حتى اليوم .

المجددون للدين :

وبعد انقضاء عهد الصحابة رضي الله عنهم ، وجّه الخليفة عمر ابن عبد العزيز رحمه الله علماء الأمة إلى العناية بتدوين الحديث والسنة النبوية ، فكتب إليهم ، وأبدى قلقه من ضياع هذا الكنز العظيم من تراث السنة النبوية والحديث الشريف ، ودعاهم إلى حفظه وصيانتة . وكان هذا توجيهه في الواقع نداءً استلقت انتباه العلماء ، وأيقظ همهم واستنهض عقولهم ، فتحرّكت الأقلام ، وتكاثرت الجهود في جمع السنة وتوثيقها ، فحُفظت ودُوّنت ، وصيّن هذا التراث الديني المجيد .

ثم ظهر رجال أذكى لاستخراج المسائل الدقيقة واستنباط الأحكام العميقة أقرّ بفضلهم وذكائهم عقلاء العالم ، وقد مهّدت جماعة من الفقهاء الطرق الوعرة الصعبة ، وكشفوا للأمة - في ضوء سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقواله ، وأعماله وتوجيهاته - أسراراً ونُكْتاً لا تصل إليها أذهان العامة .

وحينما ظهرت فتنة الاعتزال ، وافتتن بها كثير من أصحاب العقول الزاهرة وذوي الأذهان النيرة ، وانخدع ببريقها وروعها عدد من أصحاب العلم والفكر ، قيّض الله تعالى لهذه الأمة الإمامين الجليلين أبا الحسن الأشعري وأبا منصور الماتريدي .

وحينما سحرت الفلسفة العقول ، واستولت على الأبواب ، وسرى أثرها في أوساط العلم والفكر ، هيأ الله تعالى للأمة حجة الإسلام الشيخ أبا حامد الغزالي ، فواجهها بما وهبه الله تعالى من العلم والفضل ، وألف كتابه القيم "تهافت الفلاسفة" وغيره من الكتب التي ميّز بها الحق من الباطل ، وفرّق الخير من الشر . ثم شاء الله تعالى أن يحفظ حديث نبيه الشريف ، فاختر له في القرن الثالث والرابع من الهجرة رجالاً من أئمة الحديث ، غربلوا الأخبار والروايات ، وميَّزوا صحيحها من سقيمها ، ومقبولها من مردودها . وبفضل جهودهم نشأت جملة من العلوم والفنون ؛ من علم الجرح والتعديل ، وعلم الرجال ، وعلم مصطلح الحديث ، وما إلى ذلك ، ودُوّنت بأشكالها المتنوعة .

وكان ذلك في الواقع فضلاً عظيماً من أولئك المحدثين العظام على الأمة المسلمة ، لا يُنكر ولا يُنسى ما تعاقب الليل والنهار . حتى قال الدكتور أسبرنغر : " لم تمض أمة ، ولا توجد اليوم مثل المسلمين ، أوجدت فتناً عظيماً ، كفن أسماء الرجال ، تُعرف بفضل أحوال نحو خمس مائة ألف رجل " .

ثم خلق الله تعالى في كل عصر رجالاً قاموا بتزكية قلوب الناس ، مما كان من مقاصد النبوة الأساسية ، فظهر أئمة التزكية والسلوك الذين وفروا للعالم غذاءً روحياً . وهذه السلسلة المباركة لا تزال جارية دون انقطاع إلى اليوم ، وستمتد إلى يوم القيامة بإذن الله ، إذ يبعث الله في كل عصر رجالاً يجددون دين الإسلام بنصرتهم وتعزيزهم وتأبيدهم . وقال صلى الله عليه وسلم : " بلغوا عني ولو آية " . (صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، الحديث : ٣٤٦١) .

إن هذا الخطاب النبوي ، وإن كان موجهاً إلى الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فإنه عن طريقهم موجه إلى سائر الأمة المسلمة . فمن مسؤوليات الأمة أن تكون متأهبة في كل حين وآن لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتواصل جهدها قدر استطاعتها ، حتى لا تذبل تلك الغرسة الطيبة التي غرسها النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة .

صور بارزة لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم :

إن أول صورة من صور نصرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبرزها وأعظمها شأنًا ، حفظ الأمانة التي أودعنا النبي صلى الله عليه وسلم إياها . ولا يتحقق حفظ هذه الأمانة إلا بالعمل بها ، ولا يتحقق العمل بها إلا بفهم السيرة النبوية فهماً صحيحاً عميقاً ، كما تقدم الحديث عنه بشيء من الإسهاب . فمن صور النصرة الأساسية المهمة الأولى أن يحقق المرء ثباته في سلوكياته وتصرفاته وأعماله في حياته الشخصية والاجتماعية وبين أهله وأسرته وأقاربه وذويه . وبهذا تتحقق نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته في معنى الكلمة .

ثم تأتي الصورة الثانية ، أو المرتبة الثانية من مراتب النصرة ، وهي إزالة الحواجز والعوائق التي تحول دون معرفة الشريعة والسنة النبوية ، والتأهب للتضحية في سبيل ذلك بالنفس والمال في كل حين وآن .

ولا شك أن نصرة الذين يتعلمون الدين ، ويعمقون فهمه ، ويشغلون بنشر تعاليمه ، وكذلك معاونتهم في مراحل مختلفة ، هي نصرة للنبي صلى الله عليه وسلم . وكذلك نصرة المعاهد ، ودعم المؤسسات والمراكز التي تقوم على أساس نصرة الدين وإشاعته وحمايته ، وتسعى بصدق وإخلاص لإعلاء كلمة الإسلام ونشره ، تعد نصرة للنبي صلى الله عليه وسلم بالواسطة .

كيفية تربية الأبناء في ضوء القرآن الكريم

بقلم : د . عبد الحكيم الأنيس*

- الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .
- وبعد : فمن الغني عن البيان اهتمام القرآن بصنع الإنسان ، الإنسان الذي تتحقق فيه معاني الاستخلاف في الأرض فيعمرها ، وقيم الدين ، ويعمل للأخرة ، الإنسان الذي تتوازن عنده الأقطاب الثلاثة : الدين والدنيا والأخرة ، فيعطي كلا منها حقه .
- وإذا كانت مرحلة الطفولة هي المرحلة التي ينبنى عليها ما بعدها ، فإننا سنتوقع الكثير من عناية القرآن بها وبما قبلها : (بلغت حقوق الطفل في القرآن ٦٦ حقاً) .
- ونجد في سورة من السور مشهداً حافلاً بالتربية ، صريحاً بالتعليم ، ذلك هو المشهد الأبوي التربوي في (سورة لقمان) ، ونتوقف عند هذه المحطات :
- (١) هذه السورة " مكية " ، مما يدل على العناية المبكرة بالتربية : تربية الآباء للأبناء .
- (٢) سُمِّيَتْ هذه السورة باسم لقمان تنبيهاً على شخصه ، وإعلاماً بمكانته .
- (٣) تقع هذه السورة في أربع صفحات ، أخذ مشهد لقمان منها صفحة كاملة .
- (٤) وصف الله تعالى لقمان بالحكمة ، وأقسم بأنه هو الذي آتاه إياها .
- (٥) أخبرنا الله تعالى أنه قال للقمان : (اشكر لله) للدلالة على منزلة شكر النعمة .

* الخبير العلمي في مجمع القرآن الكريم بالشارقة - الإمارات العربية المتحدة . وقد ألقى هذه المحاضرة في ندوة تربوية بعنوان : (كيفية تربية الأبناء في الإسلام ، وما هي الحلول لمواجهة الأخطاء التربوية) ، دعا إليها الأخ الكريم الشيخ الداعية الفاضل عبد الرحمن الحوت إمام مسجد الجمعية الإسلامية وخطيبه ومدرسه في مدينة (نورنبيرغ) في ألمانيا .

(٦) أعلنت هذه الآيات بياناً مهماً جداً ، وهو أن (مَنْ يَشْكُرُ اللَّهُ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) ، (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) .
 (٧) وصف لقمان بالحكمة كان تمهيداً لما سيحكيه تعالى عنه ، واسترعاءً للأذهان لأهمية ما سيأتي .
 (٨) لقمان هنا يمكن أن يمثل كل أب ، ويمكن أن يمثل كل أم .
 وحين ننظر في وصايا لقمان لابنه نجد أنها قد اشتملت على ثلاثة محاور كبرى ، لا بد لنا من الاهتمام بها ، والتركيز عليها ، وإيلائها ما تستحقه من عناية ، وهي ما يأتي :

المحور الأول : تصحيح علاقة الجيل بربه ، وذلك ب :

التوحيد ، وهو حجر الزاوية في تكريم العقل ورفعته إلى مستواه كما في قوله : (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان : ١٣] .
 الإيمان باليوم الآخر الذي يججز الإنسان عن كثير من الشر ، كما في قوله : (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) [١٦] .
 الصلاة : وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، قال تعالى : (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ) [١٧] .

المحور الثاني : تصحيح علاقة الجيل بالوالدين :

قال تعالى : (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي سَبْعِينَ آيَةً حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ الْبُيُوتَ قَالَ لَهُ الْبُيُوتُ أَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ قُلْ إِنَّ الْمَوْلَىٰ لِلَّهِ فَمَنْ أَسَٰءَ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَنْ يُشَاءُ) [لقمان : ١٤ - ١٥] .

وإذا صححت هذه العلاقة قضي على كثير من المشكلات ، بل خفف العبء حتى عن الدولة ، فبدلاً من أن نقيم داراً للعجزة والمسنين - مثلاً - فإن الأبناء يتكفلون بذلك .

وقال القرطبي المفسر : " الآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين ، وإلانة القول ، والدعاء إلى الإسلام برفق " .

نعم ، فالجيل المسلم لا يعرف القطيعة والقسوة أمام المواقف الإنسانية ، وذلك من فضل التربية القرآنية .

وهنا وقفة وسؤال : لماذا جعل الله الأمر بالبر من كلامه ، وليس من كلام لقمان ؟

لعل لذلك حكمة ، وهي إظهار عظمة هذا العمل ورفعة شأنه عند الله سبحانه وتعالى ، وليعلم الأبناء أن الوصية بالوالدين وصية ربانية لا بشرية .

المحور الثالث : تصحيح علاقة الجيل بالمجتمع ، وذلك بـ :

الاهتمام بالمجتمع ونظامته : (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [١٧] . وهذا الموضوع مهم جداً ، وله ضوابط وشروط ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع المسلم غير ذاك في المجتمع غير المسلم ، والأمر مهمة قولية ، لا تنفيذية ، والأمر يكون لمن لك سلطة عليه ، وهذه السلطة أنواع .

التجمل في الحياة : (وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ) [١٧] .

التخلق بالأخلاق العالية الرفيعة ، (وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) [لقمان : ١٨ - ١٩] .

وقوله تعالى : (وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) أي لا تمل خدك للناس كبراً عليهم ، وإعجاباً بنفسك وتبهاً بما لديك ، واحتقاراً لهم .

ونلخص وصايا لقمان في النقاط العشر الآتية ، وهي كالهرم نبدأ من أعلاه :

(١) لا تشرك بالله .

(٢) برّ والديك ، ومن البر الشكر لهما ، (والشكر قول وفعل ، لا بد من التعبير عن ذلك ، لا بد أن تظهر مشاعرك الطيبة لوالديك) . ومن استثناء البر عدم الطاعة في المعصية كبيرة كانت أو صغيرة ، ومن البر أن تصحبهما بالمعروف .

ومما يُعين على ذلك أمور ، منها : اتباع سبيل من أناب إلى الله ، وتذكر الموت والحساب ، كما نفهم من قوله تعالى : (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) . ومنها كذلك : برّ الوالد للجد : (بَرُّوْا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ) .

(٣) أد الصلاة تامة بأركانها وشروطها وواجباتها .

(٤) وأمر بالمعروف الذي يعرفه الشرع والعقل .

(٥) وانه عن المنكر الذي ينكره الشرع والعقل .

(٦) وسيصيبك أذى من الذين تأمرهم بالمعروف ، وتنهاهم عن المنكر ، فاصبر على ما أصابك ، إن ذلك الصبر على ما يصيب القائم

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاجُ إلى إرادةٍ قويةٍ رُفِيعَةٍ ، هي من مستوى العزم الذي يدفعُ أصحابَه إلى تنفيذ ما يريدون مما يرضي الله ، ولو اقترنَ به تحملٌ أشدُّ الصعوبات ، وأعظمُ الآلام .

(٧) ولا تتكبر فتحقر الناس ، وتعرض بوجهك عنهم إذا كلموك كما يفعلُ أهل الكبر .

(٨) لا تمش في الأرض مختالاً في مشيتك ، إِنَّ اللهَ لا يحبُّ كلَّ مختالٍ في مشيه ، مستكبرٍ عليهم بإعراضه عنهم ، مبالغٍ في الفخر على الناس بنفسه ، أو بما آتاه الله من قوةٍ ، أو مالٍ ، أو نسبٍ ، أو جاهٍ ، أو ذكاءٍ ، أو جمالٍ وجهٍ وحسنٍ طلعةٍ ، ومن لا يحبه الله فإنه يعرضُ نفسه لعقابه .

(٩) وليكن في مشيتك توسطٌ بين الإسراع والتأني ، في سَكِينَةٍ ووقارٍ .

(١٠) اخفضُ من صوتك بقدر حاجة المستمعين ، إِنَّ رفعَ الصوت دون حاجة إلى رفعه من صفات الحمير ، فلا تكن - يا بني - متصفاً بصفةٍ هي من صفات الحمير التي تنهقُ فترفعُ أصواتها المنكرة ، إِنَّ أقبح الأصوات وأكثرها تنفيراً للأسماع لصوت الحمير .

ومما يتعلق بقوله تعالى: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) ما جاء عن التابعي غضيف بن الحارث قال : أتيتُ بيت المقدس أنا وعبد الله بن عبيد ابن عمير ، فجلسنا إلى (عبد الله بن عمرو بن العاص) فسمعته يقول : إِنَّ القبريكلم العبد إذا وُضع فيه يقول :

يا ابن آدم ما غرَّك بي ؟

ألم تعلمُ أني بيتُ الوحدة ؟

ألم تعلمُ أني بيتُ الظلمة ؟

ألم تعلمُ أني بيتُ الحق ؟

يا ابن آدم ما غرَّك بي ؟

لقد كنتَ تمشي حولي فِدَاداً .

وهنا قال أحدُ السامعين في مجلس غضيف - واسمُه عمرو بن عائذ - : ما الفدَادُ يا أبا أسماء ؟

قال : كبعض مشيتك يا ابن أخي أحياناً ، (وهذه المشية من أثر شعور نفسي خاطئ) .

ونستفيد من هذه القصة : حرص الصحابة والتابعين على تعميق

التربية القرآنية في نفوس الناس متى أمكنت الفرصة : فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو يربط بين تكليم القبر العبد وسلوكه في هذه الدنيا - وهو كلامٌ حقيقيٌّ أو على لسان الحال - .

وهذا التابعي غضيف بن الحارث يغتتم المناسبة لينبه تلميذه عمرو ابن عائذ إلى مشيته المرحه أحياناً ، مما يدلنا على ضرورة تدخل الدعاة والناصحين بالشكل والوقت المناسبين .

درس تربوي مهم :

ولا بد من القول بأن في وصايا لقمان لابنه درساً تربوياً مهماً آخر . وهو ضرورة قيام علاقة وثقى بين الوالدين وأولادهم ومتابعتهم ، ودوام المناصحة والمفاتحة والمصارحة .

وقد ذكر القشيري أن ابن لقمان وامرأته كانا كافرين ، فما زال يعظهما حتى أسلما .

إذن ، فالموعظة والنصيحة والتعليم ، كل ذلك كان شأناً مستمراً من غير يأس ولا فتور ولا انقطاع .

واليوم تشكو العلاقات الأسرية تدابراً عنيداً ، وتقاطعاً شديداً ، وجفوةً وجفاءً بين الوالدين والأولاد ، وإذا اتسع هذا واستمر كان نذير خطر على الرابطة الأسرية التي هي من آخر ما بقي لنا في مجتمع العولمة . ولقمان استخدم الوعظ ، وهو أسلوب يجمع بين الترغيب والترهيب ، واستخدم الأمر وأسلوب الإخبار .

مشهد قرآني تربوي آخر في (سورة مدنية) :

كان ما مضى جولة في رحاب سورة مكية ، وهذا يدل على العناية المبكرة بما احتوته تلك السورة من أحكام وآداب .

ونجد هذه العناية في السور المدنية كذلك ، ومنها في سورة التحريم .

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ) [التحريم : ٦] .

قال قتادة ومجاهد (وهما من التابعين) : قُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ، وقُوا أَهْلِيكُمْ بِوَصِيَّتِكُمْ .

وقال ابن جرير الطبري : فعلينا أن نعلم أولادنا الدين والخير وما لا يُستغنى عنه من الأدب . . . ومن هذا قوله تعالى : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) [طه : ١٣٢] .

وقوله : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) [الشعراء : ٢١٤] .
ويقول علي رضي الله عنه في هذه الآية : (علموهم وأدبوهم) .

مشاهد من السنة النبوية :

(١) قال جندب بن عبد الله : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازدنا به إيماناً . رواه ابن ماجه .

(٢) قال الحسن بن علي : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر : اللهم اهدني فيمن هديت . رواه أبو داود . وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وعمر الحسن سبع سنوات . ولهذا دلالة واضحة على العناية المبكرة .

(٣) وقال أبو سعيد بن المولى : كنت أصلي في المسجد ، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لي : لأعلمتك سورة هي أعظم السور في القرآن ، قبل أن تخرج من المسجد . ثم أخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل : لأعلمتك سورة هي أعظم سورة في القرآن ؟ قال : الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته . رواه البخاري .

(٤) ومن المشهور حديث ابن عباس : قال : " كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فقال : يا غلام ! إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف . رواه الترمذي وقال : " هذا حديث حسن صحيح " .

وفي رواية غير الترمذي (والأسانيد ضعيفة) :

" احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر من الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً " .

وقفة مع لفظة : تعلمنا ، وأعلمك :

إن قول الصحابي : تعلمنا ، يدل على ما كان يجري في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما ينبغي أن يكون بين الأبناء ووالديهم .

وانظر كذلك قوله عليه الصلاة والسلام : " لأعلمنك " .
ولديّ (نداء إلى الآباء والأمهات) اشتمل على (٢٣) فقرة ، وهي
خلاصة كتاب (رعاية الأسرة المسلمة للأبناء : شواهد تطبيقية من تاريخ
الأمّة) ، فأرجو من الإخوة والأخوات قراءتها بإمعان .

وإذا طلب مني توجيه نداء إلى الآباء في الغرب فأقول :

- (١) من الواجب الشرعيّ تعليم أبنائهم اللغة العربية .
- (٢) إتقان تلاوة القرآن .
- (٣) تدبر القرآن وفهمه .
- (٤) الالتزام بأركان الإسلام .
- (٥) التعرف إلى شعب الإيمان وتمثلها سلوكاً وعملاً .
- (٦) إقامة صلة بالسنة النبوية ، بالترام كتب نافعة ، ككتاب
رياض الصالحين ، والأذكار ، والأربعين النووية .
- (٧) قراءة السيرة النبوية وحياة الصحابة وتاريخ الأمّة .
- (٨) معرفة قيمة الحياة وفضل العمر .
- (٩) احترام المخلوقات حتى الحيوان (تذكر قصة السبكي) .
- (١٠) معرفة الأديان الأخرى .

وبعد : فإنّ التربية متعة ، هكذا ينبغي أن تنظر إليها أيها الأب ،
وأن تقوم بها شاكراً لله تعالى على نعمة الأبناء ، مستشعراً عظيم فضله
عليك بذلك ، لا أن تستثقل تلك المهمة وتهملها . ومن الجميل أن تكتب
لأبنائك وصايا وإرشادات وتجارب نافعة ، والقلم شقيق اللسان ، ولذلك
أهمية كبيرة :

ولي قلم في أنملي إن هزرتّه فما ضرني أن لا أهز المهندا
وأخيراً : رحم الله والدا أعان ولده على برّه . إن شفقة الوالدين
على الأبناء ، والخوف عليهم من العقوق تلزمنا أن لا نشدد عليهم ، وأن لا
نبالغ في استقضاء حقوقنا عليهم ، وأن لا نتعسف في استعمال تلك الحقوق .

وأقول في الختام : الصدق من أفضل أساليب التربية ، فإذا كان
الأب صادقاً في حياته وسلوكه مع نفسه ومع أسرته تعلم الأبناء منه هذا ،
والتعلم بالافتداء أقوى من التعليم بالقول ، يقول الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عودُهُ أبوه
ويقول آخر :

لا تلوموهم ولوموا أمهم ينشأ الطفلُ كما الأمُ تشاء

السنة النبوية وأهميتها في العقيدة الإسلامية

بقلم : الدكتور / ك . ت . شكيب*

تمثل العقيدة الإسلامية الأساس الذي يقوم عليه دين الإسلام ، فهي الإطار العقدي الذي يحدد علاقة الإنسان بخالقه ، وينظم تصوراته عن الكون والحياة والإنسان . ولا تُعد هذه العقيدة اجتهاداً بشرياً أو نتاجاً فلسفياً ، بل هي مجموعة من الحقائق الإيمانية التي أنزلها الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمر البشر بالتصديق بها والعمل بمقتضاها على رسوله^١ . ولكي يدرك المؤمن العقيدة الإسلامية معرفة صحيحة ، يجب الرجوع إلى مصدرين أساسيين لا غنى عنهما : القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . فالقرآن الكريم هو الأصل الأول والأساس الذي تقوم عليه أركان العقيدة ، إذ يحتوي على المبادئ الكبرى مثل توحيد الله ، والإيمان بالملائكة ، والكتب السماوية ، والرسول ، واليوم الآخر ، والقدر^٢ . ومع ذلك ، قد يرد القرآن أحياناً بصيغ مجملة أو عامة ، أو يختصر بيان بعض الحقائق الإيمانية ، مما يجعل الحاجة إلى مصدر مفسر وموضح ضرورة .

وهنا تأتي السنة النبوية لتكمل القرآن ، فهي تشرح ما أجمله القرآن ، وتفصل ما أطلقه ، وتوضح ما قد يلتبس على الناس^٣ . وقد نصّ القرآن نفسه على دور السنة في بيان الحقائق الإيمانية والأحكام الشرعية ، كما في قوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)^٤ . وتعتبر السنة مصدراً وحياً ، وليست اجتهاداً بشرياً أو رأياً شخصياً للرسول صلى الله عليه وسلم ، كما جاء في قوله تعالى : (وَمَا

* أستاذ مساعد ومشرف البحث ، قسم اللغة العربية بكلية أنوار الإسلام العربية للبنات - مونغام ، ولاية كيرالا - الهند .

^١ محمد الغزالي ، العقيدة الإسلامية وأصولها ، دار الفكر ، ٢٠٠١م .

^٢ القرآن الكريم : سورة البقرة : ٢٨٥ .

^٣ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تفسير السعدي ، دار المنهاج ، ١٩٩٩م .

^٤ القرآن الكريم : سورة النحل : ٤٤ .

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ^١ . ولهذا ، فهي حجة شرعية ملزمة للمسلم ، وتتمتع بنفس درجة الإلزام التي هي للقرآن الكريم من حيث وجوب التصديق والعمل .

إن حفظ العقيدة الإسلامية من الانحراف لا يتحقق إلا بالاعتصام بالقرآن والسنة معاً ، لأن الاكتفاء بالقرآن دون السنة قد يؤدي إلى سوء الفهم والتحريف ، وهو ما وقع فيه بعض الفرق التي رفضت السنة فابتعدت عن العقيدة الصحيحة ^٢ . لذلك ، فإن فهم العقيدة الإسلامية بشكل سليم مرتبط بفهم السنة النبوية الصحيحة ، وتلقي الدين على ضوء منهج السلف الصالح الذين أخذوا العلم مباشرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محافظين على نقائه وطريقته في التفسير والتطبيق ^٣ .

بهذا الشكل ، يكتمل فهم العقيدة الإسلامية بربط القرآن الكريم بالسنة النبوية ، لتكون قاعدة صلبة للإيمان والعمل ، تضمن استقامة الإنسان في عقيدته وأفعاله ، وتبعده عن الشبهات والانحرافات التي قد تؤدي إلى الانحراف عن الدين الحق .

تعريف السنة النبوية وأنواعها :

تُعد السنة النبوية أحد المصادر الرئيسية للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، وهي مصدر مهم لفهم الدين وتطبيقه في الحياة العملية . ولكي نفهم السنة بشكل صحيح ، يجب التمييز بين معناها اللغوي واصطلاحها الشرعي .

أولاً : السنة لغوياً :

في اللغة العربية ، تطلق كلمة " السنة " على الطريقة أو السيرة ، سواءً كانت حسنة أو سيئة . وقد جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم : " من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء " ^٤ .

^١ القرآن الكريم : سورة النجم : ٣ - ٤ .

^٢ ابن تيمية ، الرد على المخالفين في العقيدة ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠ م .

^٣ ابن القيم ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، دار الفكر ، ١٩٩٨ م .

^٤ صحيح البخاري ، حديث : ٢٠١٩ .

كما تُستخدم كلمة السنة للدلالة على العادة أو المنهج المتبع ، مثل عبارة العرب : " سُنَّة القوم " ، أي طريقة حياتهم وعاداتهم ^١ .
ثانياً : السنة اصطلاحاً :

يختلف تعريف السنة اصطلاحاً باختلاف العلوم الشرعية :
عند المحدثين : هي كل ما أُنْثِر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، سواءً كان قبل البعثة أو بعدها ، أو من صفات خلقية أو خلقية ، يُستفاد منه في الدين ^٢ .
عند أصوليي الفقه : تُعرف السنة بأنها كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، غير القرآن الكريم ، من قول أو فعل أو تقرير ، مما يصلح أن يكون دليلاً شرعياً في الأحكام والعقائد ^٣ .
عند الفقهاء : تعتبر السنة ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ، أي ما كان من قبيل المستحبات أو النوافل ، وهو تعريف يختص بالجانب التكليفي للأحكام ^٤ .

وبالتالي ، يمكن صياغة تعريف جامع للسنة ، وهو أن السنة هي كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة ، ويصلح أن يكون تشريعاً للأمة ، وتعد بذلك المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ^٥ .
أنواع السنة :

تتنوع السنة النبوية بحسب طبيعتها ، وتشمل :
السنة القولية : وهي الأحاديث التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل قوله : " إنما الأعمال بالنيات " ^٦ .
السنة الفعلية : وهي ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من عبادات وسلوكيات ، مثل طريقة صلاته وحجه .
السنة التقريرية : وهي ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم من قول

^١ ابن منظور ، لسان العرب ، دار الفكر ، ٢٠٠٠ م .

^٢ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث ، ١٩٩٩ م .

^٣ محمد الطاهر بن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، دار الفكر ، ٢٠٠١ م .

^٤ عبد الرحمن الجزيري ، الفقه الإسلامي وأدلته ، دار الفكر ، ٢٠٠٥ م .

^٥ محمد الغزالي ، الإسلام وفكرته ، دار الفكر ، ٢٠٠٢ م .

^٦ صحيح البخاري ومسلم ، حديث : ١ .

أو فعل صدر عن الصحابة رضي الله عنهم ولم ينكره ، فتكون بذلك دليلاً على مشروعية ذلك الفعل أو القول .

الصفات : وتشمل الصفات الخلقية والخلقية للنبي صلى الله عليه وسلم ، والتي تمثل نموذجاً عملياً يُحتذى به للمؤمنين في حياتهم اليومية^١ . من خلال هذا التحديد ، يظهر أن السنة النبوية ليست مجرد أقوال وأفعال تاريخية ، بل هي منهج شامل يوجه حياة المسلم في العقيدة والعبادة والأخلاق ، ويكمل بذلك ما أورده القرآن الكريم من هداية وتشريع .

مكانة السنة النبوية كمصدر للعقيدة :

تُعد السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، فهي تكمل ما جاء به القرآن وتوضح أحكامه ، كما أنها المصدر الأساسي لفهم تفاصيل العقيدة الإسلامية . وقد اتفق العلماء على أن العقيدة لا تُستقى من القرآن وحده ، إذ أن كثيراً من أصول الإيمان وبياناته التفصيلية جاءت في السنة ، سواء كانت تفسيراً للقرآن أو بياناً إضافياً له^٢ .

السنة وحي من عند الله :

أوضح النبي صلى الله عليه وسلم أن ما أوحى إليه من السنة يساوي القرآن في الأهمية ، كما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم : " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه " ^٣ . ويشير هذا الحديث إلى أن السنة مصدر وحي ، وأن العمل بها واجب على الأمة كما هو واجب التصديق بالقرآن .

وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم :

أمر الله المسلمين بطاعته صلى الله عليه وسلم واتباع هديته في جميع شؤون الحياة ، فقال تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ^٤ . ومن هذا المنطلق ، يصبح اتباع السنة ركناً ضرورياً لاستكمال الإيمان وتحقيق الاستقامة في العقيدة والسلوك .

ارتباط الإيمان باتباع السنة :

الإيمان لا يكتمل إلا بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم واتباع سنته ، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى

^١ ابن القيم ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، دار الفكر ، ١٩٩٨ م .

^٢ محمد الغزالي ، الإسلام وفكرته ، دار الفكر ، ٢٠٠٢ م .

^٣ أحمد وأبو داود ، السنن ، حديث رقم ٢٠٢٠ .

^٤ القرآن الكريم : سورة الحشر : ٧ .

أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين" ^١ . وهذا يوضح أن السنة ليست مجرد أقوال وأفعال تاريخية ، بل هي إطار عملي يربط الإيمان بالقلب والسلوك اليومي للمؤمن .

وظائف السنة في تقرير العقيدة :

تأكيد ما ورد في القرآن : تأتي السنة لتؤكد أركان الإيمان التي ذكرها القرآن ، مثل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، كما بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " ^٢ .

تفسير ما أجمل في القرآن : فبينما جاء القرآن ببعض الأحكام مجملة ، مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج ، تشرح السنة هذه الأحكام بالتفصيل ، وتوضح أركان الإيمان والمسائل الغيبية .

زيادة البيان : توضح السنة أموراً لم تذكر في القرآن تفصيلاً ، مثل وصف نعيم الجنة وأهوال القبر وأشرار الساعة ، فتزود المؤمنين بفهم أدق للغيب حماية العقيدة من الانحراف : تحدد السنة المواقف من الفرق الضالة وتحذر منها ، مما يحمي العقيدة من التحريف والانحراف ، ويضمن ثبات الإيمان على الصراط المستقيم .

بذلك ، يظهر أن السنة النبوية ليست مجرد مفسر للقرآن ، بل هي إطار كامل لتطبيق العقيدة ، يؤكد أصول الإيمان ، ويوضح تفاصيله ، ويحمي المسلمين من الانحرافات الفكرية ^٣ .

أمثلة على دور السنة في العقيدة الإسلامية :

تعد السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، وهي المصدر المكمل للقرآن في توضيح الأحكام وبيان تفاصيل العقيدة . فالسنة تمثل الشرح العملي لما جاء في القرآن ، وتكشف الغوامض التي قد يبقى القرآن فيها مجملاً ، كما أنها تحفظ العقيدة من التحريف والانحراف ، وتبين الطريق المستقيم للمؤمنين ^٤ .

أولاً : تفصيل أركان الإيمان :

القرآن الكريم أشار إلى أركان الإيمان ، مثل الإيمان بالملائكة

^١ صحيح البخاري ومسلم ، حديث رقم ١٥ .

^٢ صحيح مسلم ، حديث رقم ٨ .

^٣ ابن القيم ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، دار الفكر ، ١٩٩٨ م .

^٤ الحاكم ، المستدرک على الصحيحين ، حديث رقم ٦٨٩٩ .

واليوم الآخر والقدر ، لكن السنة كانت المصدر الذي فصل هذه الأركان . فقد بينت أسماء الملائكة ووظائفهم ، مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، بما يساعد المؤمن على فهم حقيقتهم ودورهم في الكون^١ . كما وضحت السنة تفاصيل الإيمان باليوم الآخر ، بما في ذلك أحوال القبر ونعيمه أو عذابه ، ومشاهد يوم القيامة ، والحوض ، والشفاعة ، والصراط ، والجنة والنار . أما الإيمان بالقدر ، فقد أوضحت السنة أنه يشمل أربع مراتب : العلم ، والكتابة ، والمشية ، والخلق ، كما ورد في الأحاديث الصحيحة^٢ . وبالإضافة إلى ذلك ، حرّمت السنة الغلو والشرك ، محذرة الأمة من الوقوع في البدع والانحراف عن العقيدة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو " ^٣ .

أهمية السنة في حفظ العقيدة من التحريف :

على مر التاريخ ، ظهرت فرق تتحرف عن العقيدة الصحيحة ، فكان العلماء يعتمدون على السنة النبوية لتنفيذ شبهاتهم وبطلان آرائهم . فالسنة تعمل كحاجز ضد التأويل الفاسد للنصوص القرآنية ، حيث توضح المعاني المقصودة من الآيات ، وتمنع التفسيرات الخاطئة التي قد تؤدي إلى الانحراف . كما أن النبي صلى الله عليه وسلم جسّد العقيدة عملياً في حياته ، فكانت أفعاله وأقواله نموذجاً يُحتذى به في تطبيق ما أمر الله به ، مما جعل السنة القدوة العملية للمؤمنين في العقيدة والسلوك^٤ .

ضوابط الاستدلال بالسنة في مسائل العقيدة :

لا يمكن الاستدلال بالسنة إلا وفق ضوابط دقيقة لضمان صحة الفهم العقدي . أولاً ، يجب الاعتماد على الأحاديث الصحيحة ، وعدم بناء العقيدة على الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة . ثانياً ، يجب فهم السنة في ضوء القرآن الكريم ، إذ أنهما مصدران متكاملان لا يتعارضان . ثالثاً ، ينبغي الرجوع إلى فهم السلف الصالح ، الذين تلقوا الدين عن النبي صلى

^١ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، ١٩٩٩ م .

^٢ صحيح مسلم ، حديث رقم ٨ .

^٣ السنن الكبرى للنسائي ، حديث رقم ٣١٦٥ .

^٤ ابن القيم ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، دار الفكر ، ١٩٩٨ م .

الله عليه وسلم مباشرة ، ليكون التفسير أقرب لمعنى النصوص . وأخيراً ، يجب الجمع بين النصوص المختلفة حتى لا يفهم أي حديث بمعزل عن غيره ، ما قد يؤدي إلى فهم ناقص أو خاطئ^١ .

فيمكن القول أن السنة النبوية تمثل البيان العملي والتفصيلي لما جاء في القرآن الكريم ، وهي وحي من عند الله لا يمكن استكمال العقيدة الإسلامية بدونه . فهي تُفسر القرآن وتوضح تفاصيل الإيمان وأركانها ، وتكشف الغيب الذي أخبرنا الله به ، وتفرّق بين الحق والباطل ، وتحمي الأمة من البدع والانحراف . ومن خلال التمسك بالسنة ، تحفظ الأمة وحدتها العقائدية وتظل على الطريق المستقيم الذي سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام . كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم : " تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي " . فالقرآن مع السنة يشكلان حصناً منيعاً للعقيدة ، ومفتاح الهداية ، وضمان الفلاح في الدنيا والآخرة ، كما أكد الله تعالى : (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) [سورة النساء : ٨٠] .

خلاصة :

إن اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يُعدّ من أعظم الحاجات لترسيخ العقيدة الإسلامية ، إذ أن العقيدة الصحيحة لا تُبنى إلا على الوحيين . فالقرآن الكريم يضع الأسس الكبرى للتوحيد ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، ويبين صفات الله تعالى وأدلة وجوده وربوبيته وألوهيته . وتأتي السنة النبوية مكملّة للقرآن وشارحة لمعانيه ، موضحة لما أجمل فيه ، ومبينة سبل الثبات على العقيدة . ومن هنا ، فإن العلماء والمرشدين على مرّ العصور أوصوا الأمة بالتمسك بالوحيين ؛ لأنّ فيهما العصمة من الضلال ، والحماية من الانحرافات الفكرية والبدع العقيدية . وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الوصية بقوله : " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً : كتاب الله وسنتي " . فالتمسك بالقرآن والسنة ليس مجرد التزام تعبدية ، بل هو ضرورة عقلية وإيمانية لحفظ صفاء العقيدة ، وضمان وحدة الأمة على أصول الإيمان الصحيحة التي لا تتغير بمرور الزمن .

^١ محمد الغزالي ، الإسلام وفكرته ، دار الفكر ، ٢٠٠٢م .

بطاقات الهدايا في الشريعة الإسلامية

الأستاذ عبد الله فهميم*

لقد تكاثرت أنواع المنتجات المالية تكاثر الأشجار في الغابات منذ اختراع الحاسوب والإنترنت وتقدم التكنولوجيا لا سيما البطاقات المالية ، وهي تزايدت في أنماطها وألوانها ، في شكل غير مسبوق ، سواء كانت بطاقات بلاستيكية أو إلكترونية . وبما أن الإسلام دين متكامل ، يلائم كل عصر ومصر ، ويعالج كافة مشكلات الحياة ، يجب على علماء المسلمين وفقهائهم أن يستنبطوا أحكام هذه البطاقات في ضوء الكتاب والسنة ويبينوها لعامة المسلمين .

فمن أنواع البطاقات التي أصبحت شائعة وكثيرة الاستخدام في الآونة الأخيرة بطاقات الهدايا في شتى أنواعها ، فقد أصدرتها كافة الشركات العالمية والمحلية ، ويشتريها الزبائن على إرادة منحها هدايا إلى أصدقائهم وأقاربهم كبديل لأنواع أخرى من الهدايا والتحف . وكنت قبل زمان عثرت على فتوى ثبين أحكام هذه البطاقات في ضوء الشريعة الإسلامية ، ثم اطلعت على فتوى أخرى تخالف ما قررته الفتوى الأولى من أحكام ، فتحيرت ، وحفزني ذلك إلى التفتيش والتتقيب ، فشمرت عن ساعد الجد لأبحث في هذا الأمر وأحقق الأحكام التي تتعلق بهذه البطاقات بقدر وسعي ، مستعينا بالله وتوفيقه

تاريخ بطاقات الهدايا :

المصادر تخبرنا أن أول شركة أصدرت بطاقات الهدايا هي نيمان ماركوس (Neiman Marcus) الأمريكية حيث أصدرتها سنة ١٩٩٤م ، ولكن الشركة لم تستطع أن تنتفع بها انتفاعاً بالغاً ، ولم تسوقها تسويقاً عاماً ، إذ وضعتها في أمكنة بعيدة عن أنظار الزبائن . وأول شركة استفاد بها استفادة تامة وروجها رواجاً واسعاً هي شركة بلكبستر (Blockbuster) الأمريكية الشهيرة ، حيث أصدرت سنة ١٩٩٥م بطاقات الهدايا التي أحدثت ثورة في الأسواق المالية ، ثم تبعتها شركة ستاربكس (Starbucks) سنة ٢٠٠١م ، وسرعان ما أصبحت بطاقات الهدايا شائعة الاستخدام للمناسبات الخاصة ، مثل : الأعياد والأفراح ومنح الجوائز

* عضو هيئة التدريس بمعهد الصفة - برمنجهام - المملكة المتحدة ، بريطانيا ، إنجلترا .

وغيرها ، حيث يشتري كثير من الناس بطاقات الهدايا لإهدائها إلى الأقارب والأصدقاء وأفراد الأسرة كبداية للنقود أو الأشياء الأخرى ^١ .

تعريف بطاقات الهدايا مركباً إضافياً :

بما أن " بطاقات الهدايا " مركب إضافي ، فقبل أن نتعرف على معنى " بطاقات الهدايا " يجدر بنا أن نتعرف على معنى كل من كلمتي " بطاقات " و " الهدايا " .

فأما كلمة " بطاقات " : فهي جمع " بطاقة " ، ويقال لها بالإنجليزية : (Cards) .

قال في الصحاح ^٢ : " البطاقة بالكسر : رُقِيعَة توضع في الثوب فيها رقم الثمن بلغة أهل مصر . يقال : سُمِّيت بذلك لأنها تشد بطاقة من هُدب الثوب " .

وفي القاموس ^٣ : " الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب ، التي فيها رقم ثمنه ، سميت لأنها تشد بطاقة من هُدب الثوب " ^٤ .

وفي المعجم الوسيط ^٥ : " البطاقة : الرقعة الصغيرة من الورق وغيره ، يكتب عليها بيان ما تعلق عليه " .

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة ^٦ : " بطاقة [مفرد] : ج بطاقات وبطائق : ورقة صغيرة أو رقعة من الورق المقوّى أو غيره يكتب عليها بعض المعلومات المتعلقة بموضوع ما " .

وفي العرف المعاصر ، يراد بها : قطعة صغيرة بلاستيكية أو إلكترونية ، يوضع عليها عادة شعار الجهة المصدرة لها ، والجهة القابلة لها ، ويكتب عليها : اسم صاحبها وتاريخ إصدارها وانتهائها ، ولها رقم متسلسل ، ويوجد خلف أغلب أنواعها شريط مُمَغْنَط أو رقاقة حاسوبية تسجل عليه بعض المعلومات المهمة ^٧ .

<https://gizmodo.com/٥٤٣٤٧٨٣/the-vile-history-of-gift-cards-and-how-they-came-to-destroy-christmas>

^٢ الصحاح للجوهري : مادة (بطق) ، ص ١٤٥٠ .

^٣ القاموس المحيط للفيروزآبادي : مادة (بطق) ص ٨٦٨ .

^٤ وقال شارحه الزبيدي في تاج العروس (٨٥/٢٥) : " قال ابن سيده : وهذا الاشتقاق خطأ ، لأن الباء على قوله باء الجر ، فتكون زائدة ، والصحيح فيه قول ابن الأعرابي : إنها الورقة " .

^٥ المعجم الوسيط : مادة (بطق) ص ٦١ .

^٦ معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد عمر مختار : ٢١٨/١ ، مادة (بطق) .

^٧ بطاقات الإهداء مسبقة الدفع - حقيقتها وأحكامها ، مجلة البحوث الإسلامية ،

وأما "الهدايا" : فهي جمع "هَدِيَّة" ، ويقال لها بالإنجليزية : (Gifts) .
قال في معجم التعريفات ^١ : " الهدية : ما يؤخذ بلا شرط الإعادة " .
وفي الموسوعة الفقهية الكويتية ^٢ : " الهدية في اللغة : هي المال
الذي أتحف وأهدي لأحد إكراماً له ، يقال : أهديت للرجل كذا : بعثت
به إليه إكراماً ، فالمال هدية . واصطلاحاً عرفها الحنفية بأنها : تمليك
عين مجانا . وعرفها المالكية بأنها : تمليك من له التبرع ذاتاً تنقل شرعاً
بلا عوض لأهل أو ما يدل على التمليك . وعرفها الشافعية بأنها : تمليك
عين بلا عوض مع النقل إلى مكان الموهوب له إكراماً . وعرفها الحنابلة
بأنها : تمليك في الحياة بغير عوض " .

تعريف بطاقات الهدايا لقباً :

عرفت مجلة هارفارد بزنس ريفيو (Harvard Business Review)
بطاقة هدية (Gift Card) بأنها : " بطاقة خُصم مُسبقة الدفع تُمثل مبلغاً
نقدياً محدداً يمكن من إجراء عدة عمليات شراء ، ويضم معظمها مبلغاً
نقدياً أولياً يبلغ حده الأدنى ١٠ دولار ، ويبلغ حده الأعلى ٥٠٠ دولار ،
ويمكن استخدامها إلكترونياً أو تقليدياً " ^٣ .

وفي معجم كامبريدج (Cambridge Dictionary) أونلاين :
" رمز الهدية : بطاقة أو قطعة ورق يمكن استبدالها في المتجر بسلع بالقيمة
المطبوعة عليها " ^٤ .

وفي العرف المعاصر بطاقة الهدايا هي : بطاقة بنكية أو قسيمة
شرائية تمثل مبلغاً نقدياً محدداً ، تصدرها مؤسسة تجارية أو مصرف مرة
واحدة بتاريخ محدد ، يكتب عليها أحياناً اسم المهداة إليه ، وشعار جهة
الإصدار ، ولها رقم تسلسلي ، تمكن صاحبها من إجراء عمليات الشراء ،
ولا يمكن إعادة تعبئتها ولا استرداد ما بها من رصيد ^٥ .

أنواع بطاقات الهدايا :

يتلخص أبرز أنواع بطاقات الهدايا فيما يلي ^٦ :

(١) بطاقة الاستخدام المفتوح (Open Loop Card) : وهي بطاقة

العدد ١٣١ ، ص ١٠٧ .

^١ معجم التعريفات ، ص ٢١٥ .

^٢ الموسوعة الفقهية الكويتية : ٢٥٢/٤٢ .

^٣ <https://shorturl.at/٢D٩٠M>

^٤ <http://dictionary.cambridge.org/dictionary/british/gift-token>

^٥ بطاقات الإهداء مسبقة الدفع - حقيقتها وأحكامها ، ص ١١٠ .

^٦ <https://shorturl.at/r٠٤Kp>

خصم متعددة الاستعمالات تستخدم أينما تقبل علامتها التجارية ، وتضم شعار علامة البطاقة التجارية أو الشبكة التي تُجري عمليات الحركات المالية ؛ مثل : فيزا (Visa) ، وماستركارد (Master Card) ، ومن أمثلتها في المملكة المتحدة : بطاقات الهدايا لشركة وَن فور آل (One&all) حيث يمكن استخدامها في عدد كبير من شركات ومتاجر داخل المملكة ^١ .

(٢) بطاقة الاستخدام المحدود (Closed Loop Card) : وهي بطاقة دفع إلكتروني تتيح لحاملها إجراء عمليات الشراء من شركة واحدة ، وتحمل شعارها عادة ، إلا أنه لا يمكن إعادة تعبئتها ، مثل : بطاقات الهدايا لشركات أرجوس (Argos) وأزدا (Asda) وبرايمارك (Primark) وأمازون (Amazon) وغيرها .

وظائفها وخصائصها :

أما أهم وظائفها وخصائصها فهي كما يلي ^٢ :

(١) أنها تصدر لمرة واحدة ، ولا يمكن تمديد تاريخ صلاحيتها أو إعادة تعبئتها أو استرداد رصيدها عند انتهائها .

(٢) عند الشراء بالبطاقة - سواء بكامل الرصيد أو جزء منه - تطبق شروط وأحكام البيع بالتجزئة (Retail Sale) على العقد بين العميل (المهدى إليه) والمتجر حسب كل فئة .

(٣) قد يتم إصدار البطاقة من التاجر نفسه ، وقد يتم إصدارها عبر الوسيط .

(٤) لا تعتبر بطاقات الهدايا حساباً جارياً أو حساب توفير أو وديعة تحت الطلب أو حساب أصول شخصية ، ولا يتم منح أي فوائد على الرصيد المتوفر .

(٥) يمكن للمُهدى إليه استخدام بطاقات الهدايا البنكية في أي مكان تقبل فيه بطاقات الخصم المباشر من ماستركارد (Mastercard) أو الفيزا (Visa) ونحوها .

(٦) لا يمكن استخدام بطاقات الهدايا للاسترداد النقدي ، بل يمكن استخدامها لشراء السلع والخدمات فقط .

(٧) وإذا انتهت مدتها يخسر حاملها الرصيد المتبقي فيها ، وإذا فُقدت لا يمكن استبدالها بأخرى .

^١ <https://www.one&all.com/new-where-to-spend>

^٢ بطاقات الإهداء مسبقة الدفع - حقيقتها وأحكامها ، ص ١١٢ - ١١٦ .

أحكامها الشرعية :

أما أحكامها الشرعية ، فتبحث عن الأمور التالية : حكم بيعها ، وحكم المعاوضة النقدية عن هذه البطاقات وما يتضمن من مسألة الربا ووجوب الزكاة على رصيد هذه البطاقات وما إليها .

حكم بيع وشراء بطاقات الهدايا :

أما بيع بطاقات الهدايا فالذي يظهر للباحث أنه لا حرج فيه ، إذ هذه البطاقات - كما يبدو - من الأموال المباحة ، ولا ريب في صحة البيع إذا لم يكن أحد البديلين من الأموال المحرمة في الشريعة .

قال العلامة ابن عابدين : " المراد بالمال : ما يميل إليه الطبع ، ويمكن ادخاره لوقت الحاجة ، والمالية تثبت بتمويل الناس كافة أو بعضهم ، والتقوم يثبت بها ، وإباحة الانتفاع به شرعاً " ^١ .

ولا شك أن بطاقات الهدايا أصبحت مالا ، بل من أنفس الأموال ، بسبب شيوع استخدامها بين الناس ، إذ أنها لا تمثل إلا مبلغاً محدداً من النقود ولا تحتوي على شيء محرم ، فهي متقومة ومباح الانتفاع بها شرعاً . وبالإضافة إلى ذلك ، الأصل في الأشياء الإباحة كما هو مقرر عند الفقهاء ^٢ . قال تعالى : (أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " الحلال ما أحل الله في كتابه ، والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه " ^٣ .

حكم المعاوضة النقدية عن بطاقات الهدايا :

أما حكم المعاوضة النقدية عن هذه البطاقات فهذا يختلف باختلاف تكييفها نقوداً أو سلعاً أو ديناً ، فللمعاصرين فيه أربعة أقوال :

القول الأول :

أن هذه البطاقات تعتبر نوعاً من أنواع النقود ، فلها حكم النقود الورقية من حيث إجراء أحكام الصرف فيها ، وجريان الربا ، ووجوب الزكاة ، كأحكام الدراهم والدنانير . وهذا قول دار الإفتاء الأردنية ^٤ ، وقول الدكتور صغير بن محمد الصغير ^٥ ، وقول بعض المفتين ^٦ . ويتفرع

^١ حاشية ابن عابدين ، ١٤:٩ ، دار الثقافة والتراث .

^٢ نفس المصدر ، ١: ٣٤٩ .

^٣ رواه الترمذي رقم (١٧٢٦) في اللباس ، باب ما جاء في لبس الفراء ، وابن ماجه رقم (٣٣٦٧) في الأطعمة ، باب أكل الجبن والسمن .

^٤ <https://shorturl.at/IUbCW>

^٥ <https://shorturl.at/bcKnJ>

من هذا القول المسائل الآتية :

- إذا اشترت هذه البطاقات بنفس العملة التي في رصيدها وجب التماثل والتقابض ، وحرّم التفاضل والنسيئة ؛ لأنها جنس واحد ، وقد روى الإمام مسلم (١٥٨٧) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، سواءً بسواء ، يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد " .
- وأما إذا اشترت البطاقة بعملة مغايرة لعملة رصيدها ، فلا بأس بالتفاضل ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : " فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد " .
- فلا يجوز شراء البطاقة التي رصيدها - على سبيل المثال - عشرون دولاراً بتسعة عشر أو بواحد وعشرين دولاراً ، ويجوز شراء نفس البطاقة بمائة ريال .
- وتجب الزكاة على رصيد بطاقات الهدايا كما تجب الزكاة على النقود .

القول الثاني :

- أنها تعتبر سلعة من السلع ، وأنها منتجات مالية بنفسها بغض النظر عن الرصيد الموجود فيها ، فلا تجري فيها أحكام الصرف والربا ، بل لها أحكام البيع المطلق ، وهو قول بعض المفتين^٢ ، وبناءً على هذا :
- لا يجب فيها التقابض والتماثل وإن اشترت بنفس العملة التي في رصيدها ، بل يجوز فيها التفاضل والنسيئة سواءً .
- فيجوز شراء البطاقة التي رصيدها عشرون دولاراً بتسعة عشر أو واحد وعشرين دولاراً ، ولا يعتبر هذا من باب الربا .
- ولا تجب الزكاة على الرصيد كما لا تجب على العروض ، إلا إذا كانت هي عروض التجارة .

القول الثالث :

^١ <https://shorturl.at/1UCMz>

^٢ <https://islamicportal.co.uk/purchasing-gift-vouchers-cheaper-than-their-value>

^٣ <https://shorturl.at/GmApo>

• أنها نوع من النقود الإلكترونية ودين مضمون على مُصدر البطاقة ، فيكون المصدرُ مدينًا وحامل البطاقة دائنًا ، فكأن المصدرَ استقرض رصيد البطاقة من حاملها ، فلا يجوز معاوضتها نقداً إلا بالتماثل ؛ لئلا تقضي إلى الربا لاشتمالها على فضل خال عن العوض ^١ .
القول الرابع :

• يفرق بين نوعي بطاقات الهدايا ، فأما النوع الأول – وهي بطاقات الاستخدام المفتوح – فلها حكم النقود ، وتجري فيها أحكام الصرف وغيرها ، وأما النوع الثاني – وهي بطاقات الاستخدام المحدود – فلها حكم السلع ، ولا تجري فيها أحكام الصرف وغيرها ^٢ .
القول الرابع :

يبدو لهذا الباحث أن القول الرابع هو الأول ، إلا أن الباحث لا يرى أن لهذه البطاقات نفس أحكام الدراهم والدنانير من حيث إجراء أحكام الصرف من وجوب التقابض وحرمة النسيئة ولو اختلف الجنس ، بل يرى الباحث أن لها أحكام الفلوس ؛ تفريقاً بين الأثمان الخلقية والأثمان الاصطلاحية أو العرفية ، كما قرره شيخ مشايخنا العلامة محمد تقى العثماني – حفظه الله تعالى – في كتاب " فقه البيوع " في بحث النقود الورقية ^٣ ، فبناءً على هذا :

• يجب التقابض والتماثل إذا اشتريت هذه البطاقات بنفس العملة التي في رصيدها .

• ولا بأس بالتفاضل والنسيئة إذا اشتريت بعملة مغايرة عن رصيدها .

• وتجب الزكاة في رصيدها ^٤ .

ويرجع الباحث هذا القول بناءً على الأدلة التالية :

أولاً : استخدام هذه البطاقات يعتبر استخداماً للعمالات نفسها ،

فلذا تقوم مقام العملات وتأخذ أحكامها .

فإن قيل : إن هذه البطاقات لا يمكن استخدامها إلا عن طريق

الجهة التي أصدرتها ، وأنه لا يمكن استرداد ما فيها من النقد ، وهذا

^١ <https://darulfiqh.com/is-it-permissible-to-buy-pre-loaded-gift-cards-with-discount-on-ebay>

^٢ <https://joebradford.net/buy-sell-gift-cards-face-value-islamic-law-ruling>

ruling

^٣ فقه البيوع ، ٢ : ٦٨٨ – ٧١٣ ، دار القلم .

^٤ نفس المصدر ، ٢ : ٧٠٣ .

يُغْلَبُ كونها سلعةً .

أجيب : بأن هذا لا يضر أيضاً ؛ لأن العملات أيضاً مثلها ، فإنها إذا انتهت مدتها - كما إذا ألغت الحكومة صلاحيتها كوسيلة للتبادل وأصدرت عملات جديدة مكانها - أو فقدت ، لا يمكن لحاملها الاستفادة منها واسترجاعها .

فغاية الفرق بين العملات وهذه البطاقات : أنها تُصدرها شركات خاصة ، والعملات تُصدرها الدول ، وأن العملات مدة انتهائها غير معلومة حين إصدارها خلافاً لهذه البطاقات ؛ فإن مدة انتهائها معلومة وقت إصدارها ، بل هي مكتوبة عليها أو على الفاتورة .

ثانياً : هذه البطاقات مثل الشيك المصري المصدق ، بل هي أكثر شبهاً بالنقد من الشيكات ؛ لأنها وسيلة للتبادل التجاري بدون قيود ؛ لأنه يمكن بها شراء السلع والبضائع المتنوعة ، بخلاف الشيك ؛ فإنه لا يمكن صرفه إلا لمن حرر لصالحه .

ثالثاً : الأخذ بالأحوط يرجح كون هذه البطاقات في حكم النقود ؛ إذ القول بأنها في حكم السلع يفتح باب الربا بمصراعيه ويلغي وجوب الزكاة في رصيد هذه البطاقات . وقال عليه السلام : " إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى ، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ " . رواه مسلم (١٥٩٩) .

رابعاً : قاعدة : " إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام " أيضاً ترجح كون هذه البطاقات في حكم النقود ؛ لأن عدم التماثل عند شراء هذه البطاقات بنفس العملة التي في رصيدها جائزٌ عند من يجعلها في حكم السلع ، وحرامٌ عند من يجعلها في حكم النقود ، فاجتمع فيه دليل التحريم ودليل التحليل ، فيغلب جانب الحرمة^٢ .
وأما القول بأن هذه البطاقات منتجات مالية مستقلة فيجواب عنه

^١ بطاقة الإهداء مسبقة الدفع ، ص ١٢٩ .

^٢ عمدة ذوي الأبصار لحل مهمات الأشباه والنظائر للعلامة بيبي زاده ، ج ، ص ٢٧٦ ، مكتبة الإرشاد .

بأن هذا ليس بسديد ؛ لأنها لو كانت منتجات مالية بنفسها لكان لها قيمة مستقلة بغض النظر عن رصيدها ، ومعلوم أن هذه البطاقات إذا نفذ رصيدها لا يبقى لها أي قيمة ، بل تطرح في سلة المهملات ولا يتعاطاها أحد ولو بفلسة أو فلسيتين ، ولو سلم أن لها قيمة فهي مثل قيمة الأشياء التي تطرح في سلة النفايات للتدوير فقط لا غير .

وهذا المعنى - أي : عدم وجود أي قيمة لها - أوضح بالنسبة للبطاقات الرقمية (Digital) ؛ إذ ليس لها وجود خارجي ، ولا يمكن تسليمها بعينها دون رصيدها . فهذا أكبر دليل على أن قيمة هذه البطاقات هي قيمة رصيدها ، وأن الأصل هو الرصيد دون البطاقة ، فالبطاقة تابعة للرصيد لا العكس ، فإذا كان الرصيد مثلاً عشرين دولاراً فهي قيمة البطاقة ، وإذا كان الرصيد صفرًا فقيمة البطاقة صفر ، فلا يمكن للبطاقة أن تكون أصلاً والرصيد حقاً تابعاً يمكن حامل البطاقة من شراء بضائع غير معينة من الشركات التي تقبل هذه البطاقة ؛ إذ البطاقة غير مقصودة أصلاً ، فأنى تكون هذه البطاقات منتجات مالية مستقلة عن رصيدها ؟

وأما القول الثالث فيجواب عنه بأن هذه البطاقات لا يمكن لها أن تصبح في حكم الديون أو سندات دين ؛ لأنها إذا فقدت أو انتهت مدتها يخسر حاملها رصيدها المتبقي وليس له أي حق في مطالبة المصدر بدفع هذا المبلغ إليه ، والديون لا تسقط بالتقادم وليس لها مدة الانتهاء ، كما هو معلوم ، فكيف يكون رصيد هذه البطاقات ديناً على مصدرها ؟

وأما القول الرابع فيجواب عنه بأنه لا وجه للتفريق بين النوعين ، كما بينا أن كلا النوعين من البطاقات يستخدم كالعملات .

الخلاصة :

بطاقات الهدايا أشبه بالنقود والعملات ، ويمكن أن نسميها " شبه نقود " ، فلذا يترتب عليها مختلف أحكام النقود من جريان الربا ووجوب الزكاة وما إلى ذلك ، فلا يجوز فيها التفاضل والنسيئة إذا اشترت هذه البطاقات بنفس العملة التي في الرصيد ، ويجوز التفاضل والنسيئة إذا كان الشراء بعملة مغايرة ، وتجب الزكاة في رصيدها إذا بلغ النصاب وحال عليه الحال كما في الأوراق النقدية . والله أعلم بالصواب .

بيع المعدوم وما يتعلق به من قضايا معاصرة

(الحلقة الثانية)

د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي *

(٤) قياس بيع المعدوم على عقد الاستصناع :

إنما شُرِعَ عقد الاستصناع وجُوزَ استحساناً للتعامل بين الناس من غير نكير من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، وقد استصنع النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً ومنبراً^١ ، واستصنع أصحابه رضي الله عنهم^٢ ؛ بل انعقد الإجماع في عهد الصحابة رضي الله عنهم ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم استصنع ، واستصنع الصحابة رضي الله عنهم ولم يثبت نكير من أحدهم عليه ، وروي عن عُبَيْرِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه موقوفاً بإسناد حسن صحيح : " مَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ ، وَمَا رَأَهُ الْمُسْلِمُونَ شَيْئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ ، وَقَدْ رَأَى الصَّحَابَةُ جَمِيعًا أَنْ يَسْتَحْلِفُوا أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^٣ . وهذا استحسان ، والقياس أن لا يجوز ؛ لأنه بيع المعدوم وهو منهي عنه ، والقياس يترك بمثله ، كدخول الحمام والاحتجام بأجرة وطلب شرية ماء من السقاء بفلس ، كل ذلك جائز للتعامل ، وإن كان القياس يأباه للجهالة ؛ لأنه لا

* عميد كلية البحث والتحقيق بجامعة العلوم ، غرها - غجرات .

^١ أخرجه البخاري ، الأيمان والنذور ، باب اصطناع الرسول الخاتم ، رقم : في اللباس ، باب الخاتم في الخنصر ، رقم : ٥٨٧٤ ، بَابُ مَنْ جَعَلَ فَصَّ الْخَاتَمِ فِي بَطْنِ كَفٍّ ، برقم : ٥٨٧٦ ، في الهبة ، بَابُ مَنْ اسْتَوْهَبَ مِنْ أَصْحَابِهِ شَيْئًا ، برقم : ٢٥٦٩ .

^٢ صحيح البخاري ، اللباس ، باب ، رقم : ٥٨٦٨ .

^٣ أخرجه الحاكم في المستدرك في معرفة الصحابة ، برقم : ٤٤٦٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذهبي بقوله : صحيح ، والطيا لسي في مسنده ، برقم : ٢٤٣) ، وأحمد في مسنده ، برقم : ٣٦٠٠ ، والبزار في مسنده ، برقم : ١٨١٦ ، وأورده الهيثمي في " المجمع " ١٧٧/١ - ١٧٨ ، ونسبه إلى أحمد والبزار والطبراني ، وقال : رجاله موثقون ، ومالك في الموطأ مرفوعاً برواية محمد بن الحسن الشيباني ، برقم : ٢٤١ .

يُعرفُ كَمَ قَدْرُ مَا يَقْعُدُ فِي الْحَمَامِ وَكَمَ قَدْرُ مَا يَسْتَعْمِلُ أَوْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ وَكَمَ قَدْرُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الدَّمِ ؛ إِذْ لَا يُعْتَبَرُ الْقِيَاسُ بِمُقَابَلَةِ الْإِجْمَاعِ أَوْ النَّصِّ^١ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَنْ تَجْتَمَعَ أُمَّتِي عَلَى الضَّلَالَةِ أَبَدًا ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ " ^٢ . وقال الحافظ ابن حجر : وَأَمَّتُهُ مَعْصُومَةٌ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى الضَّلَالَةِ ، هَذَا فِي حَدِيثٍ مَشْهُورٍ لَهُ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ لَا يَخْلُو وَاحِدٌ مِنْهَا ، وَيُمْكِنُ الاسْتِدْلَالُ لَهُ بِحَدِيثٍ مُعَاوِيَةَ مَرْفُوعًا " لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ " ^٣ .

والأمر المهم أن عقد الاستصناع لما شرع بتعامل الناس على خلاف القياس ، فيختص جوازه بتعاملهم وعرفهم ؛ فلا يجوز فيما لا تعامل لهم فيه ؛ لأن التعامل دليل الحاجة التي هي سبب الاستثناء ، وفيما سوى المتعارف لا يصح الاستصناع تمسكاً بالأصل ، وهو عدم جواز بيع المعدوم ، هذا هو القياس^٤ ، كما في جاء في الحديث الشريف النهي عن بيع ما ليس عند الإنسان^٥ .

^١ تبيين الحقائق : ١٢٣/٤ .

^٢ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، برقم : ١٣٦٢٣ ، وإسحاق بن راهويه في مسنده ، برقم : ٤٤٨ ، والحاكم في المستدرک ، برقم : ٨٥٤٦ .

^٣ أخرجه البخاري في المناقب : باب سؤَالِ الْمُشْرِكِينَ ، برقم : ٣٦٤١ ، ومسلم في الإمارة ، باب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي " ، برقم : ١٠٣٧/١٧٤) أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ . (التلخيص الحبير : رقم : ١٤٧٤) .

^٤ راجع : بدائع الصنائع : ٢١٠/٥ ، وفقه المعاملات : ٢٨٢/١ .

^٥ أخرجه أبوداود في البيوع ، بَابُ فِي الرَّجُلِ يَبِيعُ مَا لَيْسَ عَنْدهُ ، برقم : ٣٥٠٣ ، قال المحقق الأرنبوط : صحيح لغيره ، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع ، ومالك في الموطأ ، العينة ، وَمَا يُشْبِهُهَا ، برقم : ٢٣٦١ ، وابن ماجه ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ بَيْعِ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ ، وَعَنْ رِبْحِ مَا لَمْ يُضْمَنْ ، برقم : ٢١٨٧ ، والترمذي ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ بَيْعِ الْوَلَاءِ وَهَبِيَّتِهِ ، برقم : ١٢٣٣ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والحاكم في المستدرک ، برقم : ٢١٨٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ عَلَى شَرْطِ جَمَلَةٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ صَحِيحٌ . وقال الحافظ الذهبي : صحيح ، والترمذي ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ بَيْعِ الْوَلَاءِ وَهَبِيَّتِهِ ، برقم : ١٢٣٤ ، الترمذي ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ بَيْعِ الْوَلَاءِ وَهَبِيَّتِهِ ، برقم : ١٢٣٤ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وأما قياس بيع المعدوم على عقد الاستصناع ، فلا يجوز ؛ لأن عقد الاستصناع استثنائي منه ، فإن كان يقاس بيع المعدوم على عقد الاستصناع ويجوز بيع المعدوم فما بقي معنى استثناء عقد الاستصناع من بيع المعدوم الباطل المستثنى منه ، والحق في ذلك كما سبق أن عقد الاستصناع جُوز استحساناً لا قياساً ، ووجه الاستحسان حاجة الناس ورفع الحرج ودفعه عنهم وتعاملهم وتعارفهم من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، وقد عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، فالأصل فيه حاجة الناس إليه ورفع المشقة عنهم وتعاملهم ، فحيثما يوجد ويتحقق ذلك ، يجوز في الاستصناع ويستثنى من الأصل العام وهو منع بيع المعدوم وعدم جوازه ، وإلا فلا .

(٥) حكم بيع شيء موصوف قبل ظهوره والقبض عليه :

وفي زماننا قد راجت وذاعت صورة للبيع ، وهي أن مبيعاً يوصف ويضبط ويعين بصفات ، ثم يباع ويشترى قبل أن يخلق ويوجد والقبض عليه ، فهل تجوز هذه الصورة شرعاً ؟

هذه الصورة تجوز شرعاً في أشياء يمكن ضبط صفاتها ومعرفة قدرها ويغلب على الظن وجودها وقت التسليم عند حلول الأجل مع توافر المقدار والصفات المتفق عليها بين البائع والمشتري ؛ لكي لا يُفْضي إلى المنازعة والخصومة ، وهذا يخرجها من المعدوم الممنوع بيعه^١ ، فمعنى ذلك أنه لا يجوز بيع المعدوم مطلقاً ؛ بل يجوز بتوافر الشرائط والصفات المذكورة ، ويمكن أن يقال بعبارة أخرى : إن المعدوم الممنوع بيعه في الحديث يتعلق ببيع الأعيان دون بيع الصفات ، والبيع في شيء موصوف قبل أن يخلق ويوجد ويقبض عليه في الحقيقة هو عقد السلم الذي استثنى من بيع المعدوم لحاجة الناس وتعارفهم وتعاملهم^٢ ، وبحديث ابن عباس

^١ راجع : الاختيار لتعليل المختار : ٣٤/٢ - ٣٥ ، والمبسوط للسرخسي : ١٢٤/١٢ ، شرائط السلم ، والبحر الرائق : ١٦٩/٥ ، والكافي : ٢٧/٤/١ .

^٢ راجع : البحر الرائق : ١٩٦/٦ ، ومنح الجليل : ٢/٣ ، وأسنى المطالب : ١٢٢/٢ ، والمغني : ٢٠٤/٤ .

رضي الله عنه أنه قال: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يُسَلِّفُونَ بِالتَّمَرِ السَّنَتَيْنِ وَالثَّلَاثَ ، فَقَالَ : " مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ ، فَفِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ ، وَوَزَنٍ مَعْلُومٍ ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ " ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، وَقَالَ : " فَلْيَسْلِفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ " ^١ ؛ فعقد السلم لا يصح إلا في شيء أمكن ضبط صفته ومعرفة قدر من كيل أو وزن إلى أجل معلوم يغلب على الظن وجوده عند حلوله ، وما لا يمكن ضبط صفته ومعرفة قدره مع باقي الشروط لا يصح السلم فيه ؛ لأنه يفضي إلى المنازعة بين البائع والمشتري ^٢ .

وحاصل الكلام أن بيع المعلوم لا يجوز في الأعيان مباشرة أصالة ، ويجوز في صورة عقد السلم والاستصناع والإجارة والمزارعة والمساقاة مع شروطها مع عدم وجود المحل المعقود عليه حين إمضاء العقد ، مراعاة لحاجة الناس إليها وتعارفهم عليها ^٣ ، كذلك يجوز حيث تحققت الضرورة وأمكن إلحاقها بواحد منها بطريق الدلالة والعرف بشرط إذا لم يكن مصادماً للنص الثابت الصريح ^٤ .

(٦) حكم ما باع رجل شيئاً مؤجلاً ثم باعه المشتري من آخر والآخر من ثالث مؤجلاً :

وقد راجت صورة للبيع بين التجار ، وهي أن تاجرأ يبيع شيئاً من تاجر آخر مؤجلاً ، ثم يبيعه الآخر من ثالث مؤجلاً ، ثم الثالث يبيعه من رابع مؤجلاً ، وهذه السلسلة تجري دون انقطاع ، فالسؤال أن هذا يجوز شرعاً ، أم لا ؟

والبيع المؤجل الذي هو يسمى بالنسيئة أيضاً ، هو ما يشترط فيه تأجيل الثمن ، جائز بالإجماع ؛ لما روي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى طَعَاماً مِنْ يَهُودِيٍّ إِلَى أَجَلٍ ، وَرَهْنَهُ دِرْعاً

^١ أخرجه البخاري ، بَابُ السَّلَمِ فِي وَزْنٍ مَعْلُومٍ ، برقم : ٢٢٤٠ .

^٢ راجع : البحر الرائق : ١٦٩/٥ ، بَابُ السَّلَمِ ، ورد المختار : ١٨٣/٥ .

^٣ الفقه الإسلامي وأدلته : ٥٠٣٩/٧ .

^٤ راجع : رد المختار : ٥٥٦/٤ .

مِنْ حَدِيدٍ" ^١ ، إلا أنه لابد لصحته أن يكون الأجل معلوماً ؛ لأن الله تعالى قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) [البقرة : ٢٨٢] ، وبما قال النبي الكريم في صدد السلم : " مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ ، فَفِي كَيْلٍ مَّعْلُومٍ ، وَوَزَنٍ مَّعْلُومٍ ، إِلَى أَجَلٍ مَّعْلُومٍ " ^٢ . ثم إذا كان الأجل مجهولاً ؛ فذلك يفضي إلى النزاع بين البائع والمشتري ؛ فلا بد أن يكون الأجل معلوماً متعارفاً بلا خلاف بينهما ^٣ .

والقضية المستجدة المبحوث فيها قريبة من البيع المؤجل يسيراً باعتبار النسبته ، والفرق بينهما كبير ؛ لأن البيع المؤجل يتعلق بتأجيل الثمن إلى أجل معلوم مسمى دون البيع بغير قبض عليه . والحاصل أن صورة البيع المذكورة أعلاها لا تصح شرعاً بل هي باطلة ؛ لأن المشتري الأول والثاني والثالث والرابع وغيرهم كل واحد منهم يبيع الشيء المعدوم ؛ لأنه ليس عنده وقت العقد ، ثم يبيع الشيء المشتري ، أي المبيع بدون قبض عليه ، ويربح كل واحد منهم بغير ضمان ، ولا يحل بيع المعدوم والبيع قبل القبض ، ولا ربح مالم يضمن ؛ بما روي عن عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا يَحِلُّ سَلْفٌ وَيَبْعُ ، وَلَا شَرْطَانٍ فِي بَيْعٍ ، وَلَا رِبْحٌ مَّا لَمْ يُضْمَنْ وَلَا بَيْعٌ مَّا لَيْسَ عِنْدَكَ " ^٤ . وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْخَرَاجُ بِالضَّمَانِ " ^٥ . وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " مَنْ ابْتِئَاعَ طَعَاماً فَلَا يَبِيعُهُ حَتَّى

^١ أخرجه البخاري في البيوع ، باب شراء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنسيئة ، برقم : ٢٠٦٨ .

^٢ أخرجه البخاري ، باب السلم في وزن معلوم ، برقم : ٢٢٤٠ .

^٣ راجع : الهداية مع الفتح : ٨٦/٦ ، والمغني لأبن قدامة : ٣٢٩/٤ .

^٤ أخرجه الحاكم في المستدرک ، برقم : ٢١٨٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ عَلَى شَرْطِ جُمْلَةٍ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ صَحِيحٌ ، وقال الحافظ الذهبي : صحيح ، والترمذي ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ بَيْعِ الْوَلَاءِ وَهَيْبَتِهِ ، برقم : ١٢٣٤ ، الترمذي ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ بَيْعِ الْوَلَاءِ وَهَيْبَتِهِ ، برقم : ١٢٣٤ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

^٥ أخرجه الحاكم في المستدرک ، برقم : ٢١٧٦ ، وقال الحافظ الذهبي : صحيح ، والترمذي ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ وَيَسْتَعْلَهُ ثُمَّ يَجِدُ بِهِ عَيْباً ، برقم : ١٢٨٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

يَسْتَوْفِيهِ^١ .

وقال المحدث الكبير العلامة الملا علي القاري في صدد شرح حديث :
" لَا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ " ، وَالثَّانِي : أَنْ يَبِيعَ مِنْهُ مَتَاعًا لَا يَمْلِكُهُ ثُمَّ يَشْتَرِيهِ مِنْ
مَالِكِهِ وَيَدْفَعُهُ إِلَيْهِ ، وَهَذَا بَاطِلٌ لِأَنَّهُ بَاعَ مَا لَيْسَ فِي مِلْكِهِ وَقَتَ الْبَيْعِ ، وَهَذَا
مَعْنَى قَوْلِهِ : قَالَ (لَا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ) أَيَّ شَيْئًا لَيْسَ فِي مِلْكِكَ حَالَ الْعَقْدِ
"^٢ . ثم يوجد هناك غرر أيضاً لما يحتمل أن لا يقدر المشتري الأول والثاني
والثالث هلم جراً على تسليم المبيع ممن باعه ، كما يحتمل أن يقدر عليه ،
فعاقة المبيع مستور ، هذا هو الغرر ، كما سبق مفصلاً . ثم من المعلوم أن من
شروط صحة البيع وانعقاده أن يكون المبيع مقدور التسليم عند العقد ؛ فإن
كان معجوز التسليم عنده لا ينعقد^٣ وهناك المشتري معجوز التسليم وقت
العقد ؛ لأن المبيع ليس بموجود عنده حال العقد ، ثم من شروط العقود عليه
كون المبيع مملوكاً للبائع فيما يبيعه لنفسه عند البيع ، فإن لم يكن ، لا
ينعقد وإن ملكه بعد ذلك بوجه من الوجوه إلا السلم خاصة^٤ .

(٧) ما عدا عقد الاستصناع والسلم صور جاز فيها بيع المعدوم :

ولا شك أن ما عدا عقد الاستصناع والسلم صوراً جاز فيها بيع
المعدوم ، كالإجارة ، والمساقاة ، والمزارعة . والأمر المشترك في جميعها هو
أن كلها عقود ، والمعقود عليها فيها معدوم وقت التعاقد ، سواء كان
المعقود عليها أعياناً أو منافع ، والقياس يأبى جوازها ؛ لأن المنافع أو الأعيان
معدومة فيها وقت التعاقد ، والمعدوم لا يحتمل البيع ؛ لأنه بيع ما ليس عند
الإنسان ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فالأصل بهذا

^١ أخرجه أبو داود باب بيع الطعام قبل أن يستوفى ، برقم : ٣٤٩٢ ، وابن ماجه ، باب
النَّهْيِ عَنْ بَيْعِ الطَّعَامِ قَبْلَ مَا لَمْ يُقْبَضْ ، برقم : ٢٢٢٦ ، والبخاري ، باب ما ذكر في
الأسواق ، برقم : ٢١٢٤ ، ومسلم ، باب بَطْلَانِ بَيْعِ الْمَبِيعِ قَبْلَ الْقَبْضِ ، برقم : ٢٩ -
١٥٢٥ ، عن ابن عباس ، والترمذي عنه أيضاً ، بابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ بَيْعِ الطَّعَامِ
حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ ، برقم الباب : ٥٦ ، والحديث : ١٢٩١ .

^٢ مرقاة المفاتيح ، باب المنهي عنها في البيوع : ٧٨/٦ .

^٣ بدائع الصنائع : ٣٤١/٤ ، البحر الرائق : ٢٧٠/٥ .

^٤ رد المحتار : ٥٥/٤ ، بدائع الصنائع : ٤٤٠/٤ .

الخصوص أن لا يصح بيع المعدم إلا بدليل يخصه ، ودليل التخصيص والاستثناء هناك هو الاستحسان ؛ فجُوزت الإجارة والمساقاة والمزارعة استحساناً كما جُوز السلم والاستصناع استحساناً . وجه الاستحسان حاجة الناس إليها وتعاملهم وتعارفهم عليها ، وفي نزاعهم عن عرفهم وعاداتهم وتعاملهم حرج^١ ، والقياس يترك بمثله^٢ ؛ فجعلت الأعيان والمنافع المعدومة في الحقيقة موجودة عند العقد حكماً للضرورة والحاجة وتعامل الناس^٣ .

فحيث تحققت الضرورة والحاجة وجرى التعامل ببيع المعدم في الأعيان والمنافع ، وأمكن إلحاقها بالسلم ، أو الاستصناع ، أو الإجارة ، أو المساقاة ، أو المزارعة بطريق الدلالة ؛ فلا يكون ذلك مصادماً للنص ؛ فينبغي أن يجوز شرعاً ملحقاً بأحد منها ؛ لأن التعامل دليل الحاجة التي هي سبب الاستثناء ؛ لأنه قاعدة شرعية مطردة : " إذا ضاق الأمر اتسع " و " الحرج مدفوع بالنص وفي موضع الضرورة " .^٤

وعلماً بالباحث أن الجهالة تزول ، والغرر يندفع بسبب التعامل والتعارف ، فلا يحدث النزاع والخصومة بين المشتري والبائع هنا . وحيث لم تحقق الضرورة والحاجة وما جرى التعامل والتعارف ، لا يصح فيه البيع ؛ لأن التعامل دليل الحاجة والضرورة التي هي سبب الاستثناء ، وذلك لم يوجد ، فعاد الأمر إلى الأصل ، وهو عدم جواز بيع المعدم . فبناءً على ذلك لا تصح الإعارة في شيء معدوم ؛ لأنه لا ضرورة إليها وما جرى العرف بها أيضاً ، فبقيت المنافع فيها على أصل العدم^٥ . (للبحث صلة)

^١ فتح القدير : ٢٩١/٦ ، رد المحتار : ٥٥٥/٤ .

^٢ المحيط البرهاني : ٣٦٤/١ ، ٣٦٥ .

^٣ راجع : بدائع الصنائع : ٢١٤/٦ ، فصل في بيان حكم عقد الإعارة ، والمغني لابن قدامة : ٢٠٠/٤ ، ونظرية العقد لابن تيمية ، ص : ٢٢٤ ، وإعلام الموقعين لابن القيم : ٢٠٠/٤ ، وعلم أصول الفقه للخلاف ، ص : ٧٧ - ٧٨ .

^٤ أصول السرخسي : ٢٠٣/٢ ، ط : دار المعرفة ، بيروت .

^٥ راجع : بدائع الصنائع : ٢١٤/٦ ، فصل في بيان حكم عقد الإعارة ، وهو عدم الجواز والصحة .

السلطان عبد الحميد الثاني وقضية فلسطين

(الحلقة الخامسة الأخيرة)

بقلم : الأستاذ المفتي عتيق أحمد البستوي *

تعريب : الأخ مبین أحمد الأعظمي الندوي *

اتخاذ التدابير وسن القوانين الصارمة :

تنبه السلطان عبد الحميد إلى جهود مستمرة ولقاءات متواصلة للصهاينة ، وتقفن بحنكته وذكائه أن اليهود سوف يتخذون سبلاً أخرى غير شرعية بعد أن فشلت مجهوداتهم المبذولة في إطار القانون ، وإنهم سوف يسعون لخدع حكام فلسطين المحليين وشرائهم بالمال . وبالنظر إلى ذلك سن قوانين صارمة في خصوص فلسطين ، ونقل منها الحكام المشتبهين ، ونبه جميع حكامها الآخرين إلى هذا الأمر :

"وقد اتخذ (السلطان) وسائل الحد من الأطماع اليهودية في فلسطين ، فأرسل بعض أعضاء أمانة السر الخاصة به في قصر يلدز لتولي حكم متصرفية القدس بدلاً من الموظفين القدامى الذين تدرجوا في سلك وظائف الإدارة العثمانية . وكان أول من وصل إلى القدس توفيق بك الذي كان أميناً وصارماً في تطبيق القانون على حد قول المؤرخ اليهودي ن . مائيل وفي عام ١٨٩٨م أصدر السلطان عبد الحميد الثاني قوانين منع فيها اليهود الأجانب من دخول القدس إلا بداعي الزيارة الدينية ولمدة ثلاثين يوماً فحسب ، مع دفع تأمين مالي وتعهد بمغادرة البلاد حين انقضاء المدة المحددة ، على أن هذه القوانين لقيت معارضة من القنصليات الأجنبية ، فأبرق متصرف القدس إلى الباب العالي يطلب منه تعليمات دقيقة ومحددة حول القوانين الجديدة . فجاءه الرد يطلب الصدر الأعظم منه تنفيذ قوانين الهجرة الخاصة باليهود . . وأكد ديكسون القنصل

* أستاذ الحديث والفقه بدار العلوم لندوة العلماء ، ومدير مجمع البحوث والدراسات لندوة العلماء .

* مدرس بالمعهد الثانوي لدار العلوم .

البريطاني في القدس بأن متصرف القدس بعث له برسالة مع سكرتيه يعلمه بها أنه تلقى تعليمات من الباب العالي لتطبيق الأنظمة المرعية لدخول اليهود الأجانب إلى القدس - كل اليهود الأجانب - دون تمييز في جنسياتهم ، وبالتالي أن تطبق هذه الأنظمة على اليهود البريطانيين ، وأن الأنظمة المذكورة تنص على أنه لا يسمح لليهودي أجنبي بدخول فلسطين إلا بعد تعهد بدفع التأمين وبمغادرة البلاد خلال ثلاثين يوماً^١ .

يُس الصهاينة :

أيقن اليهود أن هذا " العقاب " لن يصاد ، مهما وافق المصيد مكان الصيد ، حتى إن كبار الصهاينة الأثرياء المثقفين أيسوا من السلطان ، فأخذوا يبحثون عن " ديك " ، (أي لجأوا إلى تدبير آخر) ، ودبروا مخططات لخلع السلطان ، وقد أثبتت دراسة الوثائق التاريخية أن اليهود وعملاءهم كانوا في مقدمة من أساءوا إلى سمعة السلطان وأطاحوا بعرشه ، فانخدع عددٌ من المسلمين السذج أيضاً بدعاية اليهود وانضموا بحركتهم ضد السلطان ، ولكن زمام القيادة لهذه الحركة كان يأخذه اليهود ، وإننا سوف نتحدث مفصلاً عن أسباب خلع السلطان ، ودوافعه ، ونتأججه في مقال مستقل ، أما الآن فنُقصر هذا البحث ونأتي إلى انتهائه بعد تقديم شهادات (تتعلق بشخصية السلطان وخلعه) .

يقول الكاتب التركي الشهير محمد جلال كشك في كتابه المعروف " القومية والغزو الفكري " :

" وقررت الصهيونية أن يزول عبد الحميد وأن يزول على نحو مذل ، لم يسمع به التاريخ من قبل . . ليكون عبرة لغيره من حكام الشرق الذين يعترضون مشيئة الصهيونية .

وما أكثر الذين وعوا الدرس من الحكام ، فأصبحوا مطية لأهواء الصهيونية ، وما أقل الذين وعوا الدرس من الشعوب . . فما زلنا نسمي عبد الحميد بالمستبد والشیطان والرجعي . . تردد الألفاظ التي روجتها الاستعمارية الغربية والصهيونية لكي تزيحه عن طريقها . . وترفع

^١ المجتمع ، الثلاثاء ، ١ / صفر ١٣٩٨ هـ - ١٠ / يناير ١٩٧٨ م ، العدد : ٣٨١ ، السنة الثامنة ، ص ١٧ .

قبضته عنا لكي تلتهمنا هي . . .
 . . . ألف اليهود جمعية سرية أكثر أعضائها من اليهود المعروفين
 بالدونمة . . والدونمة كما هو معروف يطلقه الأتراك على جماعة اليهود
 الذين هاجروا من أسبانيا واستوطنوا " سلانيك " ، وهم طائفة يتظاهر
 أفرادها بالإسلام مع احتفاظهم باطناً بالدين اليهودي ، ومنهم جاويد بك
 وبعض كبار الاتحاد والترقي . . فاتصلت بأحرار الترك . . ودخل أعضاؤها
 حزب الاتحاد والترقي . . وتعاونوا مع كثيرين من الضباط كأنور ونيازي . .
 وكانت لهم يد طويلة في الانقلاب الثاني وخلع السلطان عبد الحميد " ^١ .
 يكتب الأستاذ أنور الجندي : " ودعاة التغريب في تركيا يتمثلون في "
 الدونمة " الذين يقطنون سالونيك وهم مجموعة ضخمة من اليهود الذين
 هاجروا من الأندلس بعد استرداد الأسبان لها ، وفدوا على تركيا خلال
 حكم السلطان أبا يزيد الثاني ١٤٦١ - ١٥١٢م حيث رحب بهم هذا السلطان
 لأنهم يجلبون معهم ثروات مالية ، ومن هنا قويت الجالية اليهودية في تركيا
 وظهر من بينهم مستتبئ يهودي اسمه " شبتاي " ذهب إلى بيت المقدس ، والتف
 حوله اليهود وأعلن أن الأوان قد حان لعودة إسرائيل ثم جيء به عام ١٦٦٦م إلى
 إستانبول حيث أسلم وأسلم معه جماعة كبيرة عرفت باسم " الدونمة " أي
 الذين تحولوا عن اليهودية ودخلوا في الإسلام ويقول الكاتب الغربي " بين
 هيس " : الدونمة كثيرون ، منهم مدحت باشا حاكم ولاية الدانوب الذي
 كان ابن حاخام هنغاري وهو الذي أنشأ المدارس اليهودية في الشرق الأدنى ،
 وكان قادة حزب الاتحاد والترقي من الدونمة ، وكذلك مصطفى كمال ،
 والدكتور ناظم ، وفوزي ، وطلعت ، ونعوم أفندي ، وغيرهم " ^٢ .
 يكتب الكاتب العلامة شكيب أرسلان الذي ساهم شخصياً في
 حروب كبيرة مع أنور باشا وكمال باشا وغيرهما :
 " إن قادة المسلمين أنفسهم أدركوا حق الإدراك أن " تركيا الفتاة "
 تدير دفة سفينتها عصابة من الجحدة الغربيين ، غالبهم ليس من المسلمين

^١ محمد جلال كشك : القومية والغزو الفكري . مكتبة الأمل الكويت ، ص ٢١٣ - ٢١٤

^٢ أنور الجندي : البيضة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ، دار الاعتصام ، الطبعة الأولى ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

إلا اسماً ، بل هم من زنادقة اليهود ، ففي سالونيك طائفة يقال لها الدونمة أي القائدون المنبتون ، أصلهم يهود من مهاجري أسبانيا ، أسلموا منذ نحو أربع مائة سنة إسلاماً مشوباً ببعض عقائدهم الأصلية ، ولما كانوا المثل البعيد في الحصافة والذكاء والقيام بالأمور المالية بنوع خاص ، كان الدور الذي يمثلونه في الهيئة الاجتماعية التركية أعظم جداً مما يستحقه عددهم ، وكان أثرهم في حركة الانقلاب الدستوري مهماً ، فكان منهم أناس يعدون أركاناً في جمعية الاتحاد والترقي " ^١ .

خلع السلطان عبد الحميد الثاني :

إن قصة حياكة الصهاينة مخططات الإساءة إلى سمعة السلطان عبد الحميد وخلعه قصة مؤلمة ومبكية جداً ، وتقول جهاراً : كم كنا ساذجين وغافلين عن العواقب ، وكم كان أعداؤنا دهاءً شطاراً ماكرين ! ولكن الآن ينبغي دراسة أحوال الذين أرسلوا إلى السلطان عبد الحميد لتبليغه وثيقة خلعه . اسمعوا هذه القصة المؤلمة على لسان القلم الرشيق للشيخ محمد نمر الخطيب :

" وفي سنة ١٩٠٩م تقدم إلى رحاب القصر المنيف " يلدز " ثلاثة من أعيان الدولة العثمانية وهم :

١. عارف حكمت ، ياور وفريق البحرية .

٢. مزارحي أفندي قراصو ، عضو أعيان .

٣. أرستيدي باشا " رومي " وزير النافعة سابقاً .

ثلاثة أعيان : مسلم مأجور ، ويهودي حقوق ، ورومي موتور .

دخل هؤلاء على السلطان الذي استقبلهم بما عرف عنه من هيبة ورجولة وإباء ، وكانت وقفتهم بين يدي مولاهم على أبشع ما يكون من قلة الأدب ، غير أنهم أمام عظمة السلطان عبد الحميد ، وقوة شخصيته لم يسعهم إلا التظاهر باللياقة والاحتشام .

أما عارف حكمت ، فقد أخذ التحية الرسمية لمولاه بكل أدب واحترام عند ما تذكر هذا الضابط المسلم في ساعة من ساعات يقظة الضمير ، أنه في حضرة ولي أمر المسلمين .

^١ نفس المصدر ، ص ١٠٦ ، نقلاً عن حاضر العالم الإسلامي .

وأما اليهودي القذر ، فقد مد يده بكل صفاقة ووقاحة ، وفيها وثيقة الخلع من الولاية الشرعية .

بينما بقي أرستيدي الرومي ساكناً في وجوم ، وكأنه ليس من أبناء هذه الدنيا .

وهنا قطع السلطان الوقور حبل الصمت ، بلهجة الحاكم الوثاق بنفسه ، موجهاً كلامه إلى الذين وقفوا باهتين بين يديه قائلاً :

هل أنتم من الأعيان .

فأجابوا نعم .

ومن عينكم في الأعيان .

فسكتوا جميعاً ولم يجدوا جواباً .

عندها التفت السلطان ، ووجه كلامه إلى عارف حكمت قائلاً :

أنت : ألم تترب في هذا القصر يتيماً ؟

" فقد كانت أم عارف المذكور إحدى الخاديمات بالقصر السلطاني " .

ثم أدخلتك المدرسة البحرية العسكرية ، ثم أرسلتك إلى أوروبا ، حتى تخرجت برتبة أركان حرب .

ويتابع السلطان كلامه مع عارف بسخرية جديدة بأن تضرع من يتلقاها كان عنده مثقال ذرة من كرامة أو حياء . فمهمتك التي جئت بها لا بأس بها . ثم التفت جلالته إلى أرستيدي الرومي النصراني قائلاً :

من جعلك مستشاراً للمالية سابقاً .

ثم وزيراً للنافعة ، ثم عضواً في الأعيان ، قال ذلك بلهجة كلها توبيخ وتبكيت .

وقال أخيراً لليهودي مزارحي قراصو كلاماً ذكره فيه يوم جاءه من ست سنوات ، يطلب السماح لليهود باستيطان فلسطين ، مقابل ثمن يدفعونه لأmir المؤمنين ، وكأن السلطان الجريح أراد إفهام اليهودي الوقح ، بأن هذه الوقفة التاريخية التي تحمل خلع أمير المؤمنين ، إنما هي صدى لتلك الوقفة السابقة التي انكفأ فيها اليهود على أعقابهم ، مذمومين مدحورين أمام صلابة السلطان المؤمن في الدفاع عن حرم الله وبيته المقدس فلسطين .

ولكم كانت كلمات السلطان المظلوم قوية وبلغية ، وهو يتلقى خلع ولايته على يد اثنين : أحدهما نصراني روماني ، والآخر صهيوني . وكان ختام حديث السلطان قوله لهؤلاء :
" إن مجيئكم لتبليغ سلطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين قرار الخلع عمل سيندم عليه من أرسلكم " ^١ .

رسالة مهمة لسلطان عبد الحميد الثاني :

وقد ألقينا ضوءاً على السلطان عبد الحميد الثاني وقضية فلسطين بما فيه الكفاية . وإنكم عرفتم نظرتيه الإيمانية وموقفه النضالي عبر الكتب والوثائق التاريخية ، ولكن قد بقيت وثيقة تاريخية لم نذكرها بعد ، فنذهب نوردتها الآن في الأخير . وسوف يكون من المدهش أن السلطان عبد الحميد الثاني رغم جلالته ، وعظم شأنه ، وتوليّه مقاليد السلطنة الكبيرة ، كان قد بايع على يد شيخ صوفي متقشف من عصره ، له نسبة قوية في التركية والإحسان . وكان مداوماً على قراءة الأوراد والأذكار . ومرشده هذا هو الشيخ العارف بالله محمود أبو الشامات الذي كان من كبار شيوخ الطريقة الشاذلية ، ويقيم في دمشق ، فكتب إليه السلطان بعد خلعه رسالة مفصلة ، ذكر فيها خلفية خلعه وما فيه من خفايا الأمور . وتتضح بكل حرف من حروف تلك الرسالة حمية السلطان وغيرته الدينية ، وتأمله للإسلام والمسلمين ، (يقول الأستاذ سعيد الأفغاني الدمشقي وهو يحكي قصة رسالة السلطان) :

" فاحتفظ بها الشيخ سرا مكتوماً طوال عهد الاتحادين . حتى إذا زال الحكم التركي عن سورية اطلع عليها خلصاءه ، ثم حافظ عليها بعد وفاته أبناءه من بعده ، إذ كانت من أنفس التحف التي يحرص عليها الحريصون ، لا يطلعون عليها إلا الثقات من أهل ودهم ، حتى إذا قدم العهد ، وظهر عليها آثار الأيام ضنوا بها على الجميع ، وقد سعى بعض وجهاء دمشق من أصدقاء أبناء الشيخ حتى أقنعهم باطلاعي عليها . . . فلبى الورثة الطلب مشكورين ، وأعارونيها في مطلع عام ١٩٧٢م ريثما

^١ محمد نمر الخطيب ، حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ص ٤٦ - ٤٨ .

صورتها ورددتها لهم .

أما الترجمة العربية فقد قام بها صديق لهم من أهل العلم ، يتقن اللغتين العربية والتركية ، وكتبها لهم بخطه الفارسي الجميل المعروف " ^١ .
ثم نشر هذه الرسالة الأستاذ سعيد الأفغاني الدمشقي في مجلة " العربي " الكويتية في عددها الصادر في شهر شوال ١٣٩٢ هـ الموافق لكانون الأول ١٩٧٢ م . وفيما يلي نقدم إلى القراء ترجمة حرفية لتلك الرسالة " يا هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العلمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين إلى يوم الدين أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية ، إلى مفيض الروح والحياة ، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات ، وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة .

بعد تقديم احترامي أعرض أنني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ ميس من السنة الحالية ، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين . سيدي ! إنني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلاً ونهاراً ، وأعرض أنني ما زلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة . وبعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمثالكم أصحاب السماحة العقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ :
إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما ، سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون ترك) وتهديدهم - اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة .

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصرروا وأصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة " فلسطين " ، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف ، وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين ليرة إنكليزية ذهباً ، فرفضت هذا التكليف بصورة

^١ حاشية مذاكراتي السياسية ، ص ٣٥ - ٣٦ .

قطعية أيضاً ، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي :
" إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً - فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين ليرة إنكليزية ذهباً - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة ، فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين ، فلن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضاً " .

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي ، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى (سلانيك) فقبلت بهذا التكليف الأخير .

هذا وحمدت المولى وأحمدته أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة ؛ فلسطين ، . . وقد كان بعد ذلك ما كان . ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على الله المتعالي ، وأعتقد أن ما عرضته كافٍ في هذا الموضوع الهام . وبه أختتم رسالتي هذه .

ألثم ידיكم المباركتين ، وأرجوا وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي بسلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء .

يا أستاذي المعظم ! لقد أطلت عليكم التحية ، ولكن دفعني لهذه الإطالة أن تحيط سماحتكم علماً ، وتحيط جماعتكم بذلك علماً أيضاً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
في ٢٢ أيلول ١٣٢٩ هـ .

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد " ١

عليكم ألف سلام يا شهيد فلسطين ! خلُع من رأسك تاج المملكة الدنيوية في سبيل صيانة كرامة القدس وشرف الأمة الإسلامية ، ولكن قد وُضع على رأسك تاج الفضيلة والشرف ، والإيمان والعزيمة إلى الأبد ، تُفض عن وجه تاريخك الزاهر غباراً كثيفاً ، وخضع ألف عظمة أمام عظمتك ونزاهتك .

^١ المصدر السابق ، ص ٣٦ - ٣٨ .

المجاز صورته وألوانه بين النظرية والتطبيق

(الحلقة الثانية الأخيرة)

الدكتور محمد أيوب الرشدي *

المجاز عند علماء العربية وأئمتها :

وبعد رأي إمام الجرجاني نوّد أن نذكر بعض آراء علماء البلاغة وجهابذة الفن الذين بذلوا قصارى جهودهم لخدمة العربية وتضلعوا في البلاغة وصنّفوها وأنماطها وصاروا قَمّة العلم ، وريادة اللغة ، وسادة البلاغة ، ومنهم أحمد بن فارس - صاحب مقاييس اللغة - وله كلام ثابت في القضية المذكورة ، وحذا حذو الجرجاني في سيره إلا أنّه ما صرّح بتعريف المجاز صراحةً بيّنة محدّدة ، بل عرّف نفس مفهوم الحقيقة بوضوح ، واقتنع به وما حاول المجاز وما سار إليه ، بل ترك ذكره بأسره ؛ لعله يرى أنّه ضد الحقيقة ومقابلها - وبضدها تتبيّن الأشياء .

ثمّ الإمام ابن الأثير - صاحب المثل السائر - توسّع في تعريف الحقيقة والمجاز ، فالحقيقة عنده دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة ، وأمّا المجاز فهو عنده نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره .

فالاسم الموضوع لكل شيء هو الحقيقة ، فإذا نُقل هذا الاسم إلى غيره صار بذلك مجازاً ليس حقيقة . لكن المجاز عند الزمخشري جار الله ليس كما قال به علماء أهل السُّنة ، بل حذا في تعريفه حذو المعتزلة ، ولو أنّه في معظم قضايا البلاغية سار سير الجرجاني وتبعه فيه متابعة كاملة ، وتفسيره الكشاف نوّه رأيه في كثير من المواطن وتطبيقه في آيات القرآن الكريم ، وتراكيب اللغة العربية بل صرّح بمجازية معظم اللغة العربية وانتماها إلى التّجوز كما فسّر آية (في قلوبهم مَرَضٌ) وقال : " والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر ، أو من الغل والحسد

* إسلام آباد ، باكستان .

والبغضاء "مرض مجازاً". فالمجاز عنده استعمال اللفظ لغير ما وضع له كاستعمال المرض لسوء الاعتقاد وما إليه^١ ومقصده : من بذل جهده في مباحث المجاز ليصرف القول عن ظاهره ليحقق به فكرته الاعتزالية ونزعتة ، وهي أن معظم اللغة مجازٌ عند المعتزلة ومن يُنتمى إليه .

المجاز اللغوي :

المجاز لغةً : مصدر فعل " جاز " يقال : جاز المسافر ونحوه الطريق ، وأصله من أجاز يجوز ، تقول : أرض مجازة ، كثيرة الجوزة ، وجزت المكان وأجزته ، وعبرنا مجازة النهر وهي الجسر ، فهو إذا استعمل المجاز مطلقاً فيُراد به المجاز اللغوي ، كما نراه مثلاً في لفظ أسد إذا استعمل في مجاله المذكور للدلالة على الحيوان المفترس المعروف فهو حقيقة لغوية ، لكن إذا استعملت نفس الكلمة - أسد - للدلالة على الرجل الشجاع دون الحيوان المفترس فصار مجازاً لغوياً إذا . وكذلك إطلاق لفظ البحر على العالم الكبير أو على الرجل الكريم مجازاً لغوياً .

المجاز العقلي :

والمجاز العقلي هو يُقال له المجاز في الإسناد ، وهو الذي يُسند فيه الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له في اعتقاد المتكلم مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، وكذلك نقول : سال الوادي بإسناد السيّان إلى الوادي ، وفي الحقيقة الشيء الذي سال فيه هو الماء ، والعلاقة بينهما المجاورة ، ولا يُستطاع أن يُراد منه المعنى الحقيقي ، وكذلك نقول : شفى الطبيب المريض ، وفي الحقيقة شفاء المريض من جانب الله ، لكن لعلاقة الملابس والممارسة تُسند الشفاء إلى الطبيب .

ومثاله في كلام الله ، هو آية سورة غافر : (يَا هَامَانَ ابْنُ لِي صَرَحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ)^٢ فهذا هو المجاز العقلي ؛ لأننا نرى في الآية المذكورة أن هامان ما بنى بنفسه ، بل هو أمر للعمال والحمال بالبناء ، فهامان سبب البناء والفعل مسند إلى السبب ، والمجاز في الإسناد فقط لا في الفاعل أو الفعل .

^١ حبنكة الميداني ، البلاغة العربية ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ .

^٢ سورة العلق ، رقم الآية : ١٧ .

الفرق بين المجاز اللغوي والمجاز العقلي :

وعندما نلتنفت إلى الفرق بين المجاز اللغوي والمجاز العقلي فنجد أولاً : أنَّ صورة المجاز اللغوي تُوجد في اللفظة المفردة فقط ، حيث يُنقل من معناها الحقيقي الموضوع لها إلى معنى آخر غير ما وُضعت له كما نطلق لفظ الأسد مثلاً على الرجل الشجاع لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي - الأسد - المنقول عنه وبين المعنى المجازي - الرجل الشجاع - المنقول إليه ، لكن ما وجدنا أمر المجاز العقلي بهذا الشأن ، بل هو عكس ذلك ؛ لأننا نراه في الإسناد والتراكيب ، وما شاهدناه في صورة الكلمة أو لفظة المفردة كما وجدنا صورته في المجاز اللغوي .

فثبت منه أنَّ صورة المجاز العقلي هو إسناد الفعل أو معنى الفعل إلى غير ما هوله ، وهذا لا يُمكن - أي الإسناد - في الكلمة أو المفرد في المجاز اللغوي كما نعتقد .

وثانياً : أنَّ المجاز اللغوي يُقال للتصرف في اللغة ، وصورته أنك تقول مثلاً : رأيت اليوم أسداً في المسجد ، وفي الحقيقة أنك رأيت عالماً كبيراً يخطب في المسجد ، فهذا هو تصرف في طبيعة اللغة بأنك نقلت اسم الأسد المعروف للحيوان المفترس إلى هذا العالم الجليل ، فهنا المجاز في لفظة " أسد " لا في نسبة الجملة ، أو إسنادها .

وأما المجاز العقلي فليس كذلك ، والتصرف هناك ليس في اللغة بل في العقل - يعني التصرف في صحة إسناد الفعل إلى الفاعل غير الحقيقي كما نقول مثلاً : أنبت البقل ، فالمجاز ليس في كلمة " أنبت " وإنما المجاز في صحة إسناد الإنبات إلى البقل ، وفي الحقيقة المنبت هو الله ، والبقل سبب الإنبات .

دواعي المجاز في كلام العرب وغيره :

المجاز من أبدع الطرق البيانية في جميع اللغات - عربية كانت أو غيرها - لحاجة الفطرة الإنسانية إليه ، إذا كان فطرتها مزودة بالقدرة على البيان واستخدام الحيل المختلفة للتعبير .

هو في الأصل التعبير غير المباشر ، وفي كثير من الأحيان التعبير غير المباشر أوقع في النفوس وأكثر تأثيراً من التعبير المباشر^١ ، والناس

^١ نفس المصدر ، ج ١٥ ، ص ٢٥٨ .

يستخدمونه منذ القدم في عصور وأزمان مختلفة في حواضرها وبواديها ،
ومنتدياتها ونشاطاتها صباح مساء استخداماً متوقفاً ممتد الحواشي ؛
وبذلك بلغت العربية مبلغ الجمال والإعجاب ونالت ما نالت ، وامتازت به
بين سائر اللغات قديماً وحديثاً بخصائص ومميزات ما لا مزيد عليها .
فنظراً لأهميته في كلام العرب وحفاوة علماء الأمة به ورؤاد
التراث نتطرق إليه حسب علاقاته وملابساته .

المجاز المرسل :

إذا كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير
التشبيه فيقال له : المجاز المرسل كما نستعمل مثلاً لفظ اليد في معنى
النعمة لعلاقة كون اليد هي الوسيلة التي تستعمل عادة في إعطاء
الإنعامات ، فالمجاز المرسل غير مقيّد بأيّ علاقة ؛ لذلك يُسمّى بالمرسل .
وله نوعان :

النوع الأول : تُوجد فيه العلاقة غير المشابهة بين المعنى الحقيقي
والمجازي الذي استعمل اللفظ للدلالة به عليه ، كاليد .
والنوع الثاني : لا تُوجد فيه علاقة فكرية ما ، بل يُوجد فيه مجرد
توسّع لغوي كالمجاز بالحذف أو بالزيادة دون ملاحظة علاقة فكرية ،
مثاله : واسأل القرية أي أهلها ^١ .

واصطلاح المجاز المرسل وضعه الإمام الجرجاني ؛ إذ لا تُوجد قبله
هذه التسمية في اصطلاح القدماء ولم يُسمّوه بهذا الاسم نعم ! نجد بعض
الإشارات للأئمة الثوابغ ورؤاد الأدب القدامى في بطون الكتب والصحائف
لكن ما صدر عنهم تصريح بهذا الاسم ، فنجد مثلاً في كتاب " المعاني
للفراء " - من الأئمة الأجلاء - ذكر مجاز المرسل بعد آية (فليدع ناديه) ^٢
فصرح بقول العرب في توضيح كلمة " نادية " وقال : " النادي يشهدون عليك "
والمجلس " ^٣ أي فليدع أهل نادية ، وهذا من إطلاق المحل وهو النادي وإرادة
الحال فيه ، وهم أهل هذا المحل ، فهذا مثال المجاز المرسل بكل صراحة
وصرامة ، لكن ما أشار إلى آية علاقة أو إلى ملابسة الاستعمال أثناء بيانه

^١ سورة الكهف ، رقم الآية : ٢٢ .

^٢ التحرير والتنوير ، ج ١٥ ، ص ٢٥٨ .

^٣ التحرير والتنوير ، ج ١٥ ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

لكن توضيحه حسب بيانه يدل على المعنى المذكور - المجاز المرسل - .
وفائدته الإيجاز مع التعميم ؛ لأنّ النادي يحوي كلّ أهله ،
والإنسان يختار منه ما يشاء من محبيه ومخلصيه وحاشية مجلسه .
وبعد ذكر المجاز المرسل مع نوعيه نودُّ أن نذكر أسماء علاقات
مجاز المرسل بين المعنى الأصلي - الحقيقي - وما ينقل إليه من المعنى
المستعمل - المجازي - باختصار هنا ، ثمّ يُذكر تفصيله أثناء بيان بعض
آيات سورة الكهف في الأسطر القادمة .

علاقات المجاز المرسل في سورة الكهف :

بحثنا في الأسطر السالفة عن المجاز وعن نظريّته بين الرد والقبول
واستخدامه في عامة مجتمع العرب وبين الشعراء والأدباء قبل الإسلام
وبعده بحثاً ودراسةً ، فنبدأ هنا صُورَ المجاز وألوانه في سورة الكهف
تطبيقاً وتحليلاً حسب العلاقات والملابسات ، فنستهلّ دراستنا من علاقة
البديّة أولاً من علاقات المجاز المرسل في سورة الكهف ، فوجدناها في
آية : (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا)^١ .
فصورة المجاز المرسل هنا في كلمة " لعلّ " التي تأتي للتوقع
والرجاء ، واستُعملت للتحذير والإنكار ؛ لأنّ توقع الأمر المكروه ليس له
زمان ، وحذّر الله الرّسول - صلى الله عليه وسلم - من الغم والحزن على
عدم إيمان المشركين ، ثمّ وجدنا فيها معنى التسلية لقلّة الحفاوة
والاكتراث بهم . أمّا كلمة " باخع " في الآية فتأتي لقاتل نفس حسب
تفسير ابن عباس ، ومجاهد^٢ وغير ذلك ، وهو في الأصل - بخع - اشتق
من عرق مستبطن في القفا عند الزّمخشري ، فالمجاز المرسل لعلاقة
البديّة في الآية المذكورة هو كلمة " لعلّ " التي تُستعمل في الرجاء والتّوقع ،
لكن حوّلت وبُدّلت هنا من المعنى الأصلي إلى معنى المجازي وهو التحذير
أو الإنكار فوجدت هنا علاقة البديّة فصار استعمال " لعلّ " في معنى
التحذير أو الإنكار للمجاز المرسل .

^١ سورة الكهف ، رقم الآية : ٥٦ .

^٢ نفس المصدر ، ج ١٥ ، ص ٣٤١ .

المجاز المرسل في اللفظ المفرد - باعتبار ما يؤول أمره إليه :

والعلاقة باعتبار ما يؤول إليه معناه هو النظر إلى المستقبل في أمر إذا أُطلق اسم الشيء على ما يؤول إليه ، وههنا في الآية : (فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) ، وكلمة " التمارى والمراء " من باب التفاعل مشتق من المرية ، وهي يُقال للشك أو الريب ، فهذا الاشتقاق يدل على أنها إيقاع من الجانبين في الشك ، فيؤول المرية إلى معنى المجادلة في المستقبل ، وإطلاق المراء على المجادلة مجاز مرسل لعلاقة ما يؤول أمره إليه ^١ .

الريب والمراء في عدتهم وهو اختلاف الناس في عدد أهل الكهف كما بينه الله في نفس الآية قبلها وهو : (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ) ^٢ . فحسب صنيع الآية المذكورة لا يُنكر عن المراء الظاهر ، لكن لا طائل تحته ولا يُناسب الخوض فيه ؛ فلذلك نبه الله في الآية أولاً بـ (فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ) ليس معناه لا تردّد فيه بل لا تُجادل فيهم ، أي لا تُجادل فيهم ؛ لقلة جدواه ثم أجاز لمراء ظاهر بقوله : (إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) وهو واضح بيّن .

المجاز المرسل في اللفظ المفرد - لعلاقة الاشتقاق :

إذا كان بين الحقيقة والمجاز علاقة اشتقاق من علاقات المجاز فهو يصير مجازاً مرسلًا ؛ لعلاقة اشتقاقية ، ومثاله من سورة الكهف آية : (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) ، وفي الآية كلمة " ثمر " بمعنى ربح المال مجازاً ؛ لأنّ " ثمر " مشتق من اسم الثمرة - وبين ثمر والثمره علاقة اشتقاقية - وربح المال والانتفاع مثل ثمر الشجرة ، وهذا المجاز قد شاع استعماله حتى أصبح حقيقة .

المجاز المرسل في اللفظ المفرد - لعلاقة سببية :

إذا كان المعنى الأصلي سبباً للمعنى الذي يُطلق عليه اللفظ مجازاً كما نجد هذا المعنى في آية (وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا) ، فمحل الاستشهاد في الآية المذكورة كلمة " جِئْتُمُونَا " - من المجيئ - وهذه الكلمة سبب الحضور ،

^١ سورة البقرة : رقم الآية : ٥٦ .

^٢ سورة الكهف : رقم الآية : ٥١ .

وهو مسبب " جئتمونا " بمعنى حضرتمونا مجازاً لعلاقة سببية ، وفي الحقيقة شبهوا عند موتهم بالغائبين ، ثم حياتهم بعد الموت شبهت بمجيئ الغائب - يعني مجيئكم يوم القيامة كخلقكم أول مرة .

وترتيب هذه الجمل في الذكر جار على ترتيب معانيها في النفس بحيث يشعر بأن كل واحدة منها ناشئ معناها على معنى التي قبلها ، فكانت جملة ويجادل الذين كفروا بالباطل مفيدة معنى الاستدراك ، أي أرسلنا الرسل مبشرين ومنذرين بما فيه مقنع لطالب الهدى ، ولكن الذين كفروا جادلوه بالباطل لإزالة الحق لا لقصد آخر .

المجاز المرسل في اللفظ المركب لعلاقة اللزوم :

المجاز المرسل المركب هو لفظ مركب يستعمل بهيئة تركيبية في غير المعنى ما وُضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة صارفة عن المعنى الأصلي فهو المجاز المرسل المركب ، ومثاله عندنا في سورة الكهف آية (وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) . فمحل الاستشهاد فيه كلمة " يَا وَيْلَتَنَا " فهذا نداء حقيقة واستعملت مجازاً بمعنى التَحَسُّر وإظهار الحزن والوجع ؛ لعلاقة اللزوم يعني كلمة " يَا وَيْلَتَنَا " ما لا يُنادي يُخاطب به ما يُنادي لقصد حضوره حزناً ووجعاً .

المجاز المرسل في اللفظ المركب لعلاقة العام والخاص :

إذا كان اللفظ له المعنى الأصلي عاماً ، والمعنى المجازي له خاص فهذا مجاز لعلاقة العموم والخصوص ، ومثاله في سورة الكهف آية (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) . فلفظ الاستشهاد هنا " ففسق " وهو من " فسقت الرطبة " أي إذا خرجت من قشرها فمعناه المجازي التجاوز عن الطاعة وهذا هو المقصود ، فإذا لفظ فسق عام ، واستعمل بمعنى خاص . وأنكر عن هذا المعنى الإمام أبو عبيدة ، وقال " لم نسمع ذلك في شعر الجاهلية ولا كلام العرب ، وإنما تحدث به العرب بعد القرآن " لكن وافق على نفس المعنى المذكور الإمام المبرّد وابن الأعرابي ، وعندهما إطلاق الفسق على العصيان شائع ومذكور في غير واحد من المواضع القرآنية ، ومعناه الخروج عن الطاعة كما ذكر في سورة البقرة (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) . فمعناه هنا واضح دون غموض وخفاء .

المجاز المرسل في اللفظ المركب لعلاقة الآلية :

(وَمَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتَ مَتَّحِدًا

المضِلِّينَ عَضُدًا) .

ففي الآية المذكورة كلمة " عضد " مجاز هنا ؛ لأنَّ العَضُدَ حقيقةً يُقال للعظم بين المرفق والكتف ، ويُطلق على المعين على العمل مجازاً ، كما يُقال : فلانٌ من عضدي أي من أعواني واعتضدت به - أعنته ، فالعضد هو آلة الإعانة ، والمعنى المراد هو الإعانة بدون الآلة . المعين على العمل ، يقال : فلان عضدي واعتضدت به ، والمعنى : لا يليق بالكمال الإلهي أن أتخذ أهل الإضلال أعواناً فأشركهم في تصرفي في الإنشاء ، فإن الله مفيض الهداية وواهب الدراية فكيف يكون أعوانه مصادر الضلالة .

النتائج :

وبعد دراسة المجاز نظريةً وتطبيقاً وصلنا خلال ذلك إلى بعض النتائج حسب التالي :

- المجاز هو الكلام ، أو الأسلوب غير المباشر ، وأكثر استعماله العرب قديماً وحديثاً ، فلا فائدة في الإنكار عنه ، وآيات القرآنية ونصوص الحديثية أوضح شاهدٍ على استعماله ، فلا مسأغ لنا أن ندور في فلك المنكرين ونسير في مسيره ، ونسبّح معهم فيه .
- ولا يُمكن للحقيقة أن تقوم مقام المجاز ؛ لأن للعرب علاقاتٍ وملاساتٍ مع المجاز ما لا يُمكن مع الحقيقة ، ويهتمون به استخداماً للتأكيد في الكلام ، أو التوضيح وما إليه .
- ويقدر الإنسان به بالإيجاز في التعبير ، مع وفاء المراد وتوفير المعنى ولا يُوجد في الحقيقة شأن الكلام بهذه المنزلة كما نقول مثلاً : كرم البلد الآمن ، معناه كل أهل البلد الآمن يستحقون التّكريم .
- ويحمل المجاز في مناحي عباراته وبين طياته المعاني الممتدة الواسعة ، ومن الإبداع الفني ذي الجمال المعجب الخلاب مع مراعاة المعنى في سيره ما لا يُؤدّيه البيان الكلامي على وجه الحقيقة ولا يُستطاع ذلك .
- لا ندعي الحصرَ لألوان المجاز وصياغته وجماله في هذه الوجازة المتواضعة ولا يسعها نطاق السّفر بل تُوجد في السورة المذكورة أمثلته متوفرة حسب الذوق الباحث اللّماح ، ومن له مُسكة بكلام العرب أو ما يجدها في كتاب الله العزيز بعد تأمله وتأنيبه فيه .

العوربة مقابل العولمة في الواقع المعاصر

" دراسة تحليلية نقدية "

أ . د / مفيدة إبراهيم علي عبد الخالق *

تحتل قضية العولمة مساحات شاسعة من كتابات المفكرين لما لها من تأثيرات متعددة على واقع ومستقبل الشعوب خاصة في دول المشرق العربي والعالم الإسلامي ، لذلك سنتناول خلال هذا المقال طرحاً جديداً للموضوع من خلال رؤى وأفكار غير تقليدية وزوايا لم تتطرق إليها أقلام الكتاب ، ثم نختم المقال بحزمة من الاقتراحات العملية والحلول التي تضمن علاجاً فعالاً لتلك الظاهرة التي توغلت في مختلف جوانب الحياة ، وإلى حضراتكم أهم المحاور .

المحور الأول : تنظير جديد لمصطلح العولمة من خلال الواقع :

قد يبدو مصطلح لفظ العوربة تشوبه بعض الغرابة ، وإن كان ليس ببعيد عن أذهان المثقفين في مقابلة العولمة . تلك الصناعة الغربية حكاية القاصي والداني التي تملأ الدنيا طويلاً وعرضاً ، وكثر فيها الكلام إلى درجة الملل .

ويبدو للبعض ما من جديد آتى به ، ولكن اسمحو لي أن أضيف وجهة نظر بجانب ما لديكم عن مفهوم العولمة ، قد يكون تنظيراً جديداً لهذا اللفظ الذي انتشر انتشار النار في الهشيم ، فهي محاولة حثيثة لمحو معالم حياتنا وديننا ، وعلى الأخص عاداتنا بما تحويه من لغة وثقافة . ألم نر هؤلاء المشتغلين بالعولمة أن شغلهم الشاغل هو اقتلاعنا من ديننا ولغتنا وعاداتنا وتقاليدنا .

وذلك عندما أطلقوا عليها في البداية (نهر العولمة) ، ولكن النهر يتبع التضاريس والأحوال الجغرافية ، وهذا يتنافى مع تكنولوجيا الاتصال ونظام الاقتصاد الذي يقوم على أساس العولمة .

* عميد كليات الدراسات الإسلامية والعربية ، جامعة الأزهر .

فأسموها (قطار العولمة) ، ولكنه قطار سريع بسرعة التكنولوجيا لا يتوقف ، وعلينا أن نسارع في اللحاق به وإلا تحول إلى صاروخ (صاروخ العولمة) .

نعم لابد أن نحجز لنا مكانا في هذا الصاروخ رضىنا أم أبينا - وربما يقول قائل : وما علينا من هذا كله ، هيا بنا نرفض العولمة ونرفض هذا النظام العالمي فهل يتسنى لنا ذلك ؟؟؟

المحور الثاني : العوربة مقابل العولمة والفرق بينها وبين العربية والعروبة :

من الخطأ المؤكد رفض العولمة (الرفض وحده لا يكفي) ، ولن يوقف تقدم العولمة نحو أهدافها . . إذن لابد من بديل يتضمن استراتيجية واضحة لها خصوصية تجبر الآخر أن ينظر لنا نظرة احترام وتبجيل ، وهذا البديل يبدو لي في العوربة ، ولكن ما العوربة ؟ هل العربية أم العروبة ؟ أم هما معا ؟ أم غير ذلك ؟ فقد بحثت عن هذا المفهوم ، فما وجدت إلا الندر اليسير في هذا الخصوص .

ولنتعرف على مفهوم العوربة لابد من طرح عدة أسئلة تعرض لها د / ناصر الأنصاري (عميد المعهد العربي في فرنسا) وتعرضت لها من خلال مؤلف لي بعنوان (من أصداء الشعر الاجتماعي المعاصر) ومن خلال الإجابات يتضح المعنى .

هل العوربة دعوة للانغلاق والتقوقع داخل النفس ؟

هل دعوة للهجوم على أحد أو أفكار أحد ؟

هل دعوة للتخلف أو الرجعية أو نبذ الآخر ؟

هل دعوة لمباركة عنف أو إرهاب من أي نوع أو شكل ؟

هل ترويجا لأيديولوجية معينة أو لجنس بعينه دون غيره ؟

هل ظاهرة صوتية أو فكرية أو وقتية محكومة بأحداث معينة ؟

العوربة ليست كل ما سبق ونرفض بشدة أن تكون مما سبق أذن

فما العوربة ؟ وماذا تكون !!؟

العوربة دعوة لفهم أوقع وأعمق للواقع من حولنا الواقع السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني بصفة عامة . وسوف يتضح لنا

ذلك من خلال المحور الثالث .

المحور الثالث : تجليات العوربة في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية والأدبية والاجتماعية : أولاً : الصعيد السياسي :

تتمثل العوربة السياسية في دراسة مجريات الأحداث والتفاعل معها بدلاً من المشاهدة السلبية وانتظار ما تأتي به الأيام . دعوة للنظر في عالم التكتلات ودراسة عوامل الضغط المصاحبة للعولمة وإمكانات مواجهة هذه الضغوط ، إنها دعوة للتأمل في رؤيتنا الشخصية لما نتأثر به ، إنها دعوة للعمل الجاد الدؤوب ، دعوة للإيمان في الكل بدل الجزء في الأصح والأشمل والأصلح .

ولذلك فإن فكرة العوربة تختلف عن العروبة التي هي انتماء للأمة العربية لا دخل للمنتمي ذاته فيه .

أما العوربة كفكرة أو دعوة تقوم على ضرورة تحركنا جميعاً للتأكيد على مكانتنا وتثبيت هويتنا ، وذلك في إيجاد تكتل عربي قوي في شتى الاتجاهات خاصة التكتل الثقافي على متسع مفهومه حتى يتسنى لنا رفض كل ما يتعارض مع مصالحنا من العولمة .

ثانياً : الصعيد الجغرافي والاقتصادي :

وتتمثل العوربة الجغرافية في الثورة المعلوماتية الحديثة التي جعلت من العالم قرية صغيرة حسب توصيف العالم الكندي " مارشال ماك لوهان " فإنها في الوقت ذاته ساهمت وتساهم بشكل غير مباشر في توحيد القوميات وتعزيز ثقافاتهما وتأكيد هوياتها . صحيح أن وسائل الاتصال الحديثة قد صهرت العالم في بوتقة واحدة وجعلته مجالاً واحداً ، إلا أنها أي العولمة - دون أن تدري - أعادت ووطدت الروابط التي انقطعت بين الكثير من الكتل القومية والثقافية التي أرادت لها العولمة الذوبان والانصهار في كيان واحد .

ويقول فيصل القاسم وهو محقق فيما ذهب إليه : من الممكن أن يلتقي العالم تكنولوجياً لكنه يبقى مجزأً ومستقلاً ومنفصلاً ثقافياً ، إن لم يزدد تقوُّعاً مهما قويت وسائل العولمة وأدواتها ، وبالتالي تكون العولمة

أداة توحيد إقليمية وقومية أكثر منها أداة تجميع وصهر وتذويب عالمية .
وعلى الرغم من أن كل مواقع الشبكة العنكبوتية متوافرة لدى
القاصي والداني ، فإن المواقع الأكثر ارتياداً من قبل مستخدمي الانترنت
العرب مثلاً هي مواقع عربية قومية .

حتى العرب الذين يعيشون في الغرب والذين يتقنون لغات البلدان
التي يقطنون فيها ، ومن المفترض أنهم انصهروا في المجتمعات الغربية نجد
أن جل ما يشاهدونه ينحصر في القنوات العربية ، لهذا السبب تحديداً
فرضت السلطات الفرنسية في فترة من الفترات قيوداً على تركيب أجهزة
الاستقبال الفضائية في المناطق التي يسكنها الأجانب والعرب لا لشيء إلا
لأنها وجدت أن السواد الأعظم منهم راح يشاهد قنواته القومية وهجر
القنوات الفرنسية المحلية مما أفشل تماماً ما يسمى بسياسة الإدماج
الفرنسية المعروفة الهادفة إلى صهر الأجانب في المجتمع الفرنسي مما جعل
الدول الغربية تراقب الوضع عن كثب خشية أن تتحول إلى مسرح
للصراعات العرقية والثقافية . وبدورها تقوم السلطات في الكثير من
البلدان الأوروبية بمراقبة البرامج التي تبثها بعض القنوات العربية وتدرس
تأثيرها على العرب المقيمين فيها ، خاصة بعدما راح المغتربون العرب
يزدادون تعلقاً واهتماماً بقضايا بلدانهم بفضل وسائل العولمة الحديثة .

ثالثاً : المستوى الثقافي والفكري :

تتمثل في التأثير العكسي للعولمة ، فهو لا يقتصر على الأوساط العامة
فقط بل طال أيضاً شرائح المثقفين المنفتحين على الثقافات الأخرى ، فقد رأينا
كثيراً من الفرانكوفونيين في دول المغرب العربي تخلوا عن متابعة القنوات
الفرنسية بعدما أشبعت القنوات العربية نهمهم السياسي والثقافي والمعرفي .
بعبارة أخرى ، فإن العولمة الإعلامية تحديداً لم توحد فقط الشارع
العربي من المحيط إلى الخليج وجدانياً وثقافياً ، بل وحدت أيضاً بعض
النخب التي كانت محسوبة على التيار الغربي أو العالمي المتعولم وجعلتها
أكثر قرباً من قضايا وطنها وثقافته .

باختصار فإن مفعول العولمة جاء عكسياً على الصعيد العربي دون
قصد من أذناب المستعمرين الغربيين الذين سعوا عبر التاريخ إلى مبدأ

"فرق تسد" . صحيح أن الواقع السياسي العربي ما زال مشرذماً ، إلا أن الواقع الثقافي القومي ازداد صلاباً وتوحداً .

والمدحش أن أمريكا راعية العولمة لم تتذمر وتشتك من بعض وسائل الإعلام العربية إلا في عصر السماوات المفتوحة . كيف لا ؟ وتلك الوسائل الجديدة تعمل بمبدأ : "داوني بالتي كانت هي الداء" . أي أن بعض العرب نجحوا إلى حد كبير في استخدام سلاح العولمة الإعلامية ضد صانعي ذلك السلاح ذاتهم . فهل انقلبت العولمة إلى عورية في حالتنا العربية ؟ ألم تستطع العورية أن تصرع العولمة بأدواتها على المدى القريب على الأقل ؟ أما العولمة الفكرية فهي تختلف كل الاختلاف عن العولمة الجغرافية المصاحبة للثورة المعلوماتية ، والذي لا شك فيه أن الاختراق الثقافي الغربي للثقافة العربية لم يتوقف منذ أكثر من مائتي عام ، إلا أن أشكال هذا الاختراق قد اتخذت في الآونة الأخيرة وفي ظل ما يسمى بالعولمة الفكرية أو عالمية الفكر أبعاداً جديدة تضغط بانتظام على هوية الأمة وثقافتها وهي مرحلة لا تمثل بحال انقطاعاً عما سبقها بل هي متصلة بها من حيث المضمون وإن اختلفت في الأساليب وآليات التنفيذ .

ولا شك أن عملية فرض النموذج الغربي في الهيمنة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ومجالات التطويع الثقافي وكسر الإرادة السياسية والعربية ومحاولات الاختراق العقلي يستوجب الكشف والتحليل تمهيداً للعمل الإيجابي والمقاومة .

تلك هي القضية ، وهي قضية وثيقة الصلة بمدى تأثير العلاقات الراهنة مع الغرب على ثقافة وهوية المجتمع العربي والآثار السلبية المؤدية إلى التبعية الثقافية كثر من محتمل لثورة المعلومات والاتصال واختلال التوازنات السياسية .

فبينما نجد اتجاهاً يرفض فكرة احترام التنوع الثقافي والحضاري مدعياً أنه يمثل غذاءً للتطرف والتعصب ويمهد لظهور فكر إنساني عالمي وهذا الاتجاه تغذيته إرادة الهيمنة الأمريكية الغربية ، فإننا نجد اتجاهاً معاكساً يرى أنصاره أن انتصار الرأسمالية ليس أمراً محتوماً ولا مضموناً ويرى ضرورة الوعي بالخصوصيات الثقافية والحضارية واحترامها .

وقد يظهر اتجاه ثالث توفيقى يسعى إلى خلق نظام جديد يقوم على أسس المشاركة والاعتداد بالتقاليد الأساسية للحضارة الإنسانية والاعتراف المتبادل بالخصوصيات والاتجاه نحو تقبل التفاعل بين الهويات الثقافية المتعددة والتي تسمح بالتعايش بين مختلف التقاليد الاجتماعية والحضارية .
وعندي أنه لا يوجد مفهوم محدد للعولمة الفكرية ، وإنما هناك عدة مفاهيم تختلف باختلاف الرؤى والمدارس الفكرية التى يركز بعضها على الجانب الاقتصادي أو السياسي أو الثقافى أو غيره .

ويواكب قضية العولمة قضية التعددية الثقافية ورغبة دول المركز فى فرض ثقافتها ومحو الثقافات الأخرى والقضاء عليها ، وعلى الرغم من موضوعية الاتجاه إلى العالمية والرغبة فى قيام المجتمع العالمى إلا أن القوى الامبريالية تحاول استغلال هذا التطور الطبيعى والمستمد من سنة التطور واستبداله بشئ يشابهه معه شكلاً ويختلف عنه موضوعاً وجوهرًا وهو اتجاه (العولمة) أي فرض عالمية قوية تقوم على توحيد المجتمع العالمى ومراحلها الدنيا فى مجتمع ما فوق الأمة لتجعله تحت الهيمنة والسيطرة الامبريالية الرأسمالية مما حدا بأصحاب الهمم فى مجتمعنا العربى المعاصر التصدي لهؤلاء الذين يهدفون إلى استغلال العولمة لتحقيق أغراضها فى السيطرة والهيمنة .

العولمة الأدبية وتتجلى لنا العوربة بوضوح فى الأدب عندما دعا العالم الألماني " جوته " والعالم الفرنسى " جوزيف تكست " وأتباعهما إلى أدب عالمي تتوحد فيه الأجناس الأدبية وأصولها الفنية وغاياتها الإنسانية بحيث لا تبقى من الحدود سوى حدود اللغة وما يمكن أن يوحى به الأقليم . ويقصد " جوته " ومن تابعه بالأدب العالمى أو (العولمة الأدبية) توحيد كل الآداب فى تركيب موسع حيث تأخذ كل أمة نصيبها فى نسق عالمي ، ونصاب بالخيبة حين نلاحق نصوص " جوته " ، على اعتبار أنه الأب الروحي لإصلاح الأدب العالمى ، إذ إنه يرى فى كل خاص شفافية وإشعاع عالمي عبر كل الوطنيات والفرديات ، حيث يتجسد الأدب العالمى فى عملية إنجاز تلقي القراءة ، من خلال (الديوان الشرقى للمؤلف الغربى) ويبسط " جوته " فيه مفهوماً واسعاً للعولمة تنطبق على كل الأمم .
إلا أن " جوته " كان يعرف جيداً بأن الأمر مستبعد التحقيق وإن

هناك أمة غير مستعدة للتخلي عن فرديتها وهي الأمة العربية ومن الأكيد أننا اليوم أكثر بعداً عن هذا التوحد المقصود من قبل "جوته" وأتباعه ومن غير المتمني محو أدبنا العربي الذي فرض لغته وسماته وخصائصه على العالم أجمع .

فقد استطاعت اللغة العربية أن تستوعب علوم الأمم الأخرى وفنونها وأصبحت بذلك لغة العلم والتأليف في العالم الإسلامي مما ساعد على انتشارها في البيئات العربية وغير العربية .

ولم تعجز اللغة العربية قديماً عن استيعاب علوم اليونان والفرس والرومان بما تحويه من منطق وفلسفة . وكانت اللغة العربية لغة الحضارة في العصور الوسطى وإحدى الركائز التي قامت عليها نهضة أوروبا نفسها فيما بعد . وإذا كانت اللغة العربية قد أثرت بمفرداتها في اللغات الأوروبية فإن ميدان الأدب أوسع وأرحب . فقد كان للشعر العربي سحره الخاص في أوروبا ، وقد لاحظ شعراء أوروبا الجمال الذي تضيفه قافية الشعر العربي فشرعوا يقلدونه إلى أن شاع اتخاذ القوافي في أشعارهم وعلى الرغم من الحروب التي شنها أمثال " فيلاموفيتس " لتخلص شعراء أوروبا من القوافي إلا أنها بقيت إلى اليوم دليلاً على فضل العرب .

وهكذا شأن سائر الفنون الأدبية الأخرى كالزجل والقصص والمقامات وغيرها ، فالزجل نشأ في بغداد أو في المغرب على اختلاف بين العلماء ولكنه ذاع في الأندلس ومنها انتقل إلى جنوب فرنسا حيث نظم على منواله شعراء " التروبادور " حيث تغنى هؤلاء بموضوعات من أصل عربي كقصص المجنون وقيس وليلى وغير ذلك .

والقصص العربي ذاع في أوروبا عن طريق التجارة ومن أمثلة ذلك ألف ليلة وليلة والسندباد وكليلة ودمنة التي اقتبس منها " لافونتين " الفرنسي كثيراً من أساطيره . والمقامات العربية التي أدهشت العالم الغربي منذ القرن الرابع الهجري ، فقد كانت مجالاً للتقليد عند الغرب وكان بطلها يلقب " البيكارون " ومع ذلك عجز حتى بالتقليد أن يأتي بما أتى به بديع الزمان الهمزاني والحريري على لسان عيسى بن هشام .

وهكذا استطاعت مؤلفاتنا الأدبية الوصول إلى العالمية وفرض الأدب العربي ذاتيته دون التخلي عن عروبه ولا عن عربيته ولا عن عوربه . وبعد فهذه رؤية متواضعة سوف تستكمل في الجزء الثاني إن شاء الله

إنجازات ندوة العلماء في قواعد اللغة العربية

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

د . محمد عيسى الندوي*

أساس اللغة العربية لتعليم غير الناطقين بها^١ :

هذا الكتاب يتضمن بين دفتيه ٨٠ صفحة . وتم نشره للمرة الأولى عام ٢٠٠٧م من المكتبة الندوية بدار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ ، كما تم نشره من دار القلم ، دمشق . وقد ساهم في تكميله الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي والأستاذ محسن عثمانى الندوي والأستاذ نعمان الدين الندوي والأستاذ عبد الماجد الغوري ، وأشرف عليه الدكتور عبد الله عباس الندوي ، وهؤلاء الأساتذة ساهموا في هذا العمل الجليل ، وجعلوه قابلاً للطباعة والنشر .

والآن نرجع إلى تقديم الكتاب لكي نعلم عن الكتاب ومحتوياته مباشرة : " وهذا الكتاب الذي هو بين أيدينا يعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها في شتى ميادين اللغة كالقواعد والإملاء والتعبير في شمولية واسعة واستيعاب كامل ، بحيث يجد الطالب والقارئ بغيته بسهولة ويسر بعيداً عن التعقيد والتفاصيل المسهبة . ويضم هذا الكتاب حسنات التأليف من حيث إيراد النصوص من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والشعر العربي المنتقى المختار الهادف إلى جانب نصوص نثرية متميزة ذات مضمون مفيد وتعايير تخدم الفكرة العامة ، وتكون ذخيرة لغوية لكل دارس ومطلع " ^٢ .

* Email: mdeisajnu@gmail.com

^١ الندوي ، محمد واضح رشيد ومحسن عثمانى الندوي ومحمد نعمان الدين الندوي وعبد الماجد الغوري ، أساس اللغة العربية لتعليم غير الناطقين بها ، د . ت .

^٢ الندوي ، محمد واضح رشيد ومحسن عثمانى الندوي وعبد الماجد الغوري ، أساس اللغة العربية لتعليم غير الناطقين بها ، د . ت .

يتمتع الكتاب بالطريق المباشر لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بدون واسطة أي لغة ، وهذا الطريق لتعليم اللغة لم يكن متداولاً في الأوساط الإسلامية في الهند ، فالمؤلفون الآخرون بواسطة هذا الكتاب حاولوا ترويج هذا الأسلوب ، لأنه طريق مفيد للغاية لتعلم لغة ما . والكتاب بجانب النشر يعطي المكان للشعر ، ويعالج النحو التطبيقي أيضاً . يشتمل الكتاب على ثلاثة مستويات ، أما المستوى الأول فهو خاص بالتعبيرات العربية السهلة ، والمستوى الثاني بالقواعد ، والمستوى الثالث بالنماذج الأدبية شعراً ونثراً .

اللغة العربية الوظيفية^١ :

قامت بإعداد هذا الكتاب النادر المفيد والأول من نوعه في الهند لجنة من المؤلفين برئاسة البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي ، وقد ساعده في إكمال هذا الكتاب كل من البروفيسورة فرحانه طيب صديقي والبروفيسور حبيب الله خان والدكتور نسيم اختر الندوي . يعد هذا الكتاب فتحة جديدة على الكتب القديمة ، وكانت بداية لإقامة نظرية جديدة بالنسبة للمناهج المتبعة في أرجاء الهند ، وهي نظرية تعليم اللغة بطريقة مباشرة بمساعدة النصوص التي تتخللها قواعد النحو والصرف .

يشتمل الكتاب على أربعة أجزاء مع الدليل لكل جزء منها . يتكون كل جزء من الكتاب من وحدتين ، وكل وحدة مشتملة على ثمانية دروس .

وندع المجال هنا للبروفيسور شفيق أحمد خان الندوي ليتحدث عن الكتاب والأهداف المتوخاة من تأليفه ، فهو يقول : " يتكون هذا المنهج من ٨ وحدات في أربعة مجلدات . وكل وحدة تتكون من ٨ دروس ، بالإضافة إلى دلالتها المنفصلة المستقلة في أربعة مجلدات أخرى . وتحتوي وحداتها السبع على المحادثات . أما الوحدة الثامنة والأخيرة فإنها مخصصة للمراسلات التجارية ، وللطلبات والنماذج المختارة من بعض الوثائق والمستندات .

^١ الندوي ، شفيق أحمد خان وآخرون ، اللغة العربية الوظيفية ، ط ١ ، نيودلهي ، المجلس القومي لترويج اللغة الأردية ، ٢٠٠٢ م .

ولما كان الهدف الأساسي من هذا المنهج هو تقليل الفجوة المتواجدة بين العربية المدروسة والعربية المنطوقة وتوصيل طلاب المدارس العربية الهنود بالتقنيات المعلوماتية الجديدة ، فإننا ركزنا على الاهتمام بتعليم الكلمات الوظيفية والتدريب على التعابير العربية السليمة حسب المواقف والظروف والمناسبات ، لكي تتوافر الكلمات والتعابير المنشودة لدى الدارس ، فتفجر على لسانه عند اللزوم بصورة تلقائية .
وأما بالنسبة إلى الدرس فإنه يتضمن نصاً وتدريباً خاصةً بالأسئلة ، وطلب استكمال الجمل وترتيبها ترتيباً عربياً سليماً ، وملء الفراغات ، ومحاولة ترسيخ الجذور النحوية والصرفية في ذهن الدارس " ^١ .

اللغة العربية الأساسية لغير الناطقين بها ^٢ :

خرجت الطبعة الأولى لهذا الكتاب من مطبعة هاورد مالويه نغرونيو دلهي سنة ٢٠٠٨م باسم " اللغة العربية الأساسية لغير الناطقين بها " .
وأما الاسم الإنجليزي لهذا الكتاب فهو (Basic Arabic for Non-Arabic Speakers) .

أعد هذا الكتاب المكون من خمسة أجزاء للطلاب الذين يستخدمون اللغة الإنجليزية كلغة وسيطة لهم . يتكون الجزء الأول من الكتاب من عشرة دروس وملحق . والعبارة التالية من مقدمة الكتاب تسلط الضوء كاملاً على الغرض من تأليف هذا الكتاب ، فيقول البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي : " وهذا الكتاب الذي نتقدم به إليكم هو الجزء الأول من سلسلة " اللغة العربية الأساسية لغير الناطقين بها " المكونة من خمسة أجزاء ، والموجهة إلى طلاب وطالبات المدارس العصرية التي تستخدم اللغة الإنجليزية كلغة وسيطة لها " ^٣ .

وقد حاول المؤلفون الأفاضل بمن فيهم البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي والبروفيسور أيوب تاج الدين الندوي والدكتور نسيم اختر

^١ المرجع نفسه ، ص ١٧ - ١٧ .

^٢ الندوي ، شفيق أحمد خان ، اللغة العربية الأساسية لغير الناطقين بها ، نيودلهي ، إسلامك بك سروسز ، ٢٠٠٨م .

^٣ الندوي ، شفيق أحمد خان ، اللغة العربية الأساسية لغير الناطقين بها ، نيودلهي ، إسلامك بك سروسز ، ٢٠٠٨م .

الندوي ، تقديم أنماط لغوية بسيطة مستخدمة في الحياة اليومية ، وترسيخها في أذهان الدارسين عن طريق التدريبات اللغوية المتنوعة الخالية من أثقال نحوية وصرفية ، ولكنهم أضافوا ملحقاً بعد الدروس العشرة في نهاية الكتاب ، وأوضحوا فيه القواعد الضرورية ، مع ذكر معاني المفردات اللغوية بالإنجليزية ، بالإضافة إلى ترجمة توجيهات التدريبات إلى الإنجليزية ، لكي يسهل الاستفادة منه بدون استعانة أي معلم .

في الواقع ، إن الكتاب محاولة جادة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، والشئ المهم في هذا الصدد أن الاستفادة من هذا الكتاب سهل للغاية . حتى الآن خرج الجزء الأول فقط من هذه السلسلة من إسلامك بك سروسز ، نيودلهي عام ٢٠٠٨ م .

تعليم اللغة العربية : طريقة عملية (الأول والثاني)^١ :

نشر هذا الكتاب الضخم في جزئين للدكتور ولي أختر الندوي ، وذلك من أكاديمية تحقيق الدراسات الإسلامية الخاصة المحدودة ، جامعة نغر بنيو دلهي - الهند (Islamic Studies Research Academy P. Ltd) سنة ٢٠٠٨ م .

بعد إلقاء النظرة الأولى والعجلى عليه ، يظن أنه كتاب ضخم أو موسوعة صغيرة في السيرة أو التاريخ ، ولكن بعد تفحص ومراجعة محتويات الكتاب يظهر للناظر أنه كتاب لغوي موسوعي ، جمع فيه المؤلف كل ما يحتاج إليه الطالب حول موضوع اللغة العربية نحواً وصرفاً وترجمة وإنشاءً .

حسب معلوماتي المحدودة ، ما رأيت كتاباً ألف لتعليم اللغة العربية في الهند ، يضاهي هذا الكتاب ضخماً وسعةً وشمولاً . يحتوي الجزء الأول لهذا الكتاب على ٢٩٥ صفحة ، والجزء الثاني على ٤٠٦ صفحة .

ومما يجدر بالذكر أنه لم يكتف المؤلف بذكر القواعد النحوية فقط ، بل جعل أيضاً في الكتاب مكاناً صالحاً لعلم التصريف والتمارين لكلا العلمين (النحو والصرف) .

^١ الندوي ، ولي أختر ، تعليم اللغة العربية : طريقة عملية (الأول والثاني) ، نيودلهي ، أكاديمية تحقيق الدراسات الإسلامية الخاصة المحدودة ، ٢٠٠٨ م .

والكتاب مزدان بتصدير ومقدمة ، أما التصدير فكتبه الأستاذ نعمان خان ، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دلهي ، وأشار إلى أن هذا الكتاب قد صُمم لمساعدة الطلاب الذين يَودُّون تعلُّم اللغة العربية وقواعدها ، وخاصة طلبة الدبلوم والشهادات في العربية التابعة لجامعة دلهي . والكتاب من الكتب الشاملة للموضوع ، وسيخدم كدليل مفيد للطلاب الذين يتعلمون اللغة العربية دون مساعدة الأستاذ .

ويحكي المؤلف نفسه قصة تأليف هذا الكتاب قائلاً : " إنه حينما انضم إلى سلك التدريس بجامعة دلهي فوض إليه تدريس قواعد اللغة العربية ، فكان من عادة المؤلف أنه يكتب كل ما يدرسه ويوزعه بين الطلبة بعد إنهاء ذلك الموضوع . والرد الذي لاقى تجاه هذا العمل كان دافِعاً ومحركاً إلى الأمام ونهائياً إلى تأليف هذا الكتاب بعد إدخال تعديلات وإضافة تمارين إليه " ^١ .

يستهدف الكتاب الطلبة الذين يستطيعون قراءة النصوص والكلمات العربية ونطقها بسهولة ، ولديهم معرفة تامة بالحروف الشمسية والقمرية . والكتاب موزع بين أساسيات وفصلين وملحق . ففي الأساسيات شرح المؤلف بإيجاز بعض القواعد الأساسية للغة العربية مع إيراد الأمثلة كالأبجدية العربية والتذكير والتأنيث والتنكير والتعريف والمفرد والمثنى والجمع وما إلى ذلك .

والفصل الأول للكتاب مقسَّم إلى ٢١ وحدة ، ويعالج الجملة الإسمية في أشكالها المختلفة ، وكل وحدة تناقش فقط قاعدة واحدة ، وكل وحدة تبتدئ بعدد من الأمثلة مع بيان المعاني الحرفية لتلك الحروف ، ثم المعنى الكامل للجملة . ولتبسيط النقاط النحوية والصرفية تم شرح وإيضاح القاعدة كلها في فقرة جديدة ، وأبرزت النقاط المهمة . وعند نهاية كل الوحدات ، تم تقديم عدد من تمارين الترجمة للتدريب ، وكل وحدة لها صلة بالوحدة التالية .

وقد حاول المؤلف كل المحاولة لجعل هذا الكتاب سهلاً وبسيطاً

^١ الندوي ، ولي أختر ، تعليم اللغة العربية : طريقة عملية (الأول والثاني) ، نيو دلهي ، أكاديمية تحقيق الدراسات الإسلامية الخاصة المحدودة ، ٢٠٠٨ م .

للمتعلمين ، وأوضح كل قاعدة بأسلوب يدفع الطالب إلى الأمام تدريجياً من الجمل البسيطة إلى الجمل المعقدة . واعتنى المؤلف بالقواعد اعتناءً يناسب معيار الطالب ومستواه العلمي في تلك المرحلة .

وفي الفصل الثاني ، تمت مناقشة الجملة الفعلية . فمن الوحدة الأولى حتى الوحدة السابعة ، ناقش المؤلف المعروف من الفعل الماضي والفعل المضارع ، والمجهول من كلا النوعين ، إلى جانب فعل الأمر والنهي ، مع إيراد تمارين عديدة . وفي الوحدات التالية ، عالج المؤلف أوزان الفعل الثلاثي المجرد ، غير أنه لم يذكر (المعتل والمضاعف) الأفعال غير الصحيحة في الأمثلة ولا في التمارين ، لكي لا يختلط الأمر على المتعلم .

وأضاف المؤلف ١٢ تصريحاً كاملاً للمعتل والمضاعف في الماضي والمضارع والأمر والنهي في ملحق للكتاب . وفي الملحق ، جاء المؤلف أيضاً بحروف الجر ، وظرفي الزمان والمكان ، وأيام الأسبوع ، وأسماء الشهور ، والعدد الأصلي والوصفي ، وأفعال صحيحة كثيرة الاستعمال ، وأفعال غير صحيحة كثيرة الاستعمال ، ومسرد للكلمات العربية – الإنجليزية ، والإنجليزية – العربية . وختم الجزء الأول والثاني بمسرد المفردات الواردة في كلا الجزئين ومعانيها بالإنجليزية .

خلاصة البحث :

لقد تعرفنا فيما سبق على الإسهامات الأكاديمية الفعالة التي قدمها الأكاديميون البارزون المنتمون إلى دار العلوم لندوة العلماء في مجال تأليف كتب أو كتيبات تعرض القواعد النحوية والصرفية بشكل مبسط وجميل ، مما قد حبيب اللغة العربية إلى دارسيها وحتى مدرسيها أيضاً . ومن خلال الصفحات التي مرت ، يمكننا أن نتأكد من أن دار العلوم التابعة لندوة العلماء ساهمت في تقليل حجم العرقلة التي قد تحول بين المتعلم وتعلمه اللغة العربية ، ونجحت في تأطير منهج اللغة العربية وتقديم مادة تعليم وتعلم هذه اللغة في أسلوب يسهل تناوله . ومما ينبغي أن لا يغيب عن البال أن المتعلمين للغة العربية قبل صدور هذه المحاولات الائقة بالتقدير والثناء ، كانوا يضطرون إلى تعلم القواعد العربية باللغة الفارسية ، وكان ذلك يمثل تحدياً كبيراً لدى الطلاب في سبيل تعلم العربية .

أرض فلسطين أرض المرابطين الباسلين

د . أصغر محمود الندوي*

لقد شهدت أرض الأنبياء صوراً قويةً تثلج صدور المؤمنين وتزود المرابطين على الجبهة ، وتبشرهم بالنصر المبين الذي وعدهم الله عز وجل في كتابه العزيز حيث قال : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)^١ واقتبست هذه الصور من رواية " أرض الأنبياء " للدكتور نجيب الكيلاني علم من أعلام الأدب الإسلامي وهي كما يلي :

التمسك بالتاريخ الإسلامي الزاهر :

إن أهل هذه الأرض المقدسة يتمسكون بالتاريخ الإسلامي الزاهر ، ويتذكرون فيما بينهم قصة الهجرة النبوية وقصة حطين وعين جالوت وحكايات صلاح الدين الأيوبي وغيرها من قصص البطولة والشهامة . . والمقتبسات التالية تلقي الضوء على ذلك :

" إن هذه الأرض أرض الأنبياء والروحانيات ، إلا أنها شهدت معارك غزيرة ، وسالت عليها الدماء غزيرة . . مصير الرومان تحدد هنا . . ومصير التتار وكذلك الصليبيين الذي تحطمت آمالهم على هذه الصخور السماء . . ومعارك الحرب العالمية الأولى وثورات العرب ضد الترك . . أليس غريباً أن تكون أرض الأنبياء بحيرةً للدماء على حقب التاريخ ؟ " ^٢

" لماذا هاجر محمد من مكة إلى المدينة ؟ كلكم يعرف لماذا هاجر ، في المدينة وجد العون والآذان الصاغية والأرض الطيبة لبذور دعوته الجديدة ، ومن هناك خرج لينشر النور ، وليحرر العبيد ، وليطهر مكة التي هجرها من أبالسة الشرك والطغيان . . والكبراء الفارغة . . سيروا في طريقكم أيها الإخوان . . " ^٣

* أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية ، جامعة دلهي (الهند) .

١ القرآن الكريم ، سورة النور ، آية : ٥٥ .

٢ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ٩٠ .

٣ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ٣٦ .

"أخذوا يذكرون أطرافاً من معارك الزمن الغابر مثل حطين وعين جالوت ، ويروون حكايات عن صلاح الدين ونجم الدين أيوب .. وهزيمة الفرنجة ، وأعلام النصر ترفرف في دمشق وبغداد والقاهرة ، وكأنهم يتغذون بهذه الذكريات الرائعة المجيدة ، ويتخذون منها زاداً للمعركة القاسية المحتدة فوق الأرض المقدسة .. ولا شيء يحيي النفوس في ظلمات النكبات الطارئة أروع من ماضٍ رائع ، ينبثق منه فجر الأمل العذب .. " ^١ .

عزائم المؤمنين المرابطين الباسلين وصبرهم :

رغم ذلك كله انظر إلى عزائم هؤلاء الأمجاد الثابتة خلال الكلمات التالية :

" يجب أن نموت هنا .. الموت أرحم من التسليم ..

كرامتنا تفرض علينا أن نحارب ..

إنه حكم الله ..

وليس لنا إلا الصبر ..

عندما يشاء الله .. " ^٢ .

الشهادة في سبيل الله سعادة ليست فوقها أي سعادة :

وذلك لأنهم أصغوا نداء الله في القرآن الكريم : (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) ^٣ .

انظر إلى شاب وهو في احتضاره كيف يلتجئ إلى الله ويود أن يكرم بهذه السعادة : " لكم تسعدني هذه النهاية !! طالما انتهيتها وحلمت بها .. إنني أحب لقاء الله .. هذا لقاء رائع .. روعي ستظل تحوم حول هذه الأرض الغالية " .

" آه .. ما أعجب أمري !! عين هنا ، وعين في الجنة .. فلسطين هي الأخرى جنة يا أبنائي .. جنة الله في الأرض .. وأرض الأنبياء " ^٤ .

مواصلة الإخوة المصابين :

إذا أحد منهم يستشهد في سبيل الله فيأتي الآخرون ويواسون أهله

^١ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ٢٣٣ .

^٢ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ١٤ .

^٣ القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية : ١٥٤ .

^٤ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ١٩٦ .

وذويه ..

"إنهم كانوا وديعة الله عندكم .. ولما أراد الله أن يسترد وديعته .. فلم تحزن ؟ هل أنت أحن عليهم من حالهم ؟؟ إنهم الآن في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ... " ^١ .

وعندما مات واحد شهيداً رد الآخر قائلاً : " كل من عليها فان .. هنيئاً له .. مات شهيداً " ثم قال : رحم الله الشاعر العرب القديم :
رمانى الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال عن النصال ^٢
صمودهم في وجه الأعداء وثباتهم على الرباط :

" إن هؤلاء الرجال لا شك يفكرون بالليل والنهار .. والتفكير يقلقهم ويبعث الأرق في ليلهم ، في الليل ينقضون كالصقور ، وفي النهار يقبعون في حرص ويقظة ، إنهم يحملون على كواهلهم مستقبل أمة ، ويتكلفون بالحفاظ على مصير شعب .. آلاف مثلهم ينبثون في أعماق الصحراء العربية في أرض فلسطين ، ويختفون في البيارات ، ويحاصرون مشارف المدن والمستعمرات الإسرائيلية ويضحون بالنعيم الدنيوي والراحة المادية وزهرة أعمارهم من أجل مبدأ " ^٣ .

والد يعزم بعدم المغادرة من المكان ، ويقول لابنه : " أقسمنا جميعاً ألا نغادر هذا المكان أحياء .. سنقاوم حتى النهاية ، وإذا ما داهم قريتنا فلن نخليها بأي حال من الأحوال ، خير لنا أن ندفن هنا من أن نهرب أحياء إلى أي مكان آخر : نحن لا نرضى العار يا بني .. " ^٤ .

يتسلحون بسلاح الأمل فلا مجال لليأس :

ونداء الله يتردد في آذانهم (وَلَا تَيَاسُواْ مِنْ رُّوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) ^٥ .

^١ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ٥٤ .

^٢ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

^٣ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ٧٦ .

^٤ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ١٠١ .

^٥ القرآن الكريم ، سورة يوسف ، آية : ٨٧ .

"الروح العالية تسود جميع الجنود، وبسمات الأمل والثقة تضيئ على ثغورهم والعمل الجاد الشاق يسود كل مكان، فالجميع يضحون بأغلى ما يملكون ولا يعبأون براحة أو نعيم ، ويخوضون المعارك في بسالة منقطعة النظير"^١

واندفع أحد الرجال الصامتين قائلاً : "ومع ذلك فلا مجال لليأس ، قوتنا لم تتراجع .. إننا ننتصر ، ما أكثر السجناء الذين تحرروا من القيود ، سحقوا سجانهم ، بالأمس انتصرت الهند برغم آلاف الجنود البريطانيين ، وبرغم فقرهم في المال والسلاح والغذاء وكل الإمكانيات .. وسننتصر بإذن الله .."^٢

"كما ينبع الأمل من اليأس، وكما يشرق الانتصار في ظلام الهزيمة .. لكل شيء نهاية .. ولن تتركنا العناية الإلهية لهذا الشقاء مهما طال .. لا بد أن تحمي حريتك واستقلالك ومستقبل أجيالك بوسائل القوة التي وهبها الله لك .. لن تكون معتدياً أو طاغياً بالطبع ، ولكنك ستكون رجلاً يقظاً يحرس أمن أمته ومبادئها .. كثيراً ما يردد أبي آية عظيمة من آيات القرآن الكريم (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)^٣ .

ولم تمت آمنياتنا يا ابنتي .. والمعركة لم تنته ، فستظل دائرة حتى يعود الحق إلى أهله .. الهدنة أكذوبة لن تعيش طويلاً .. وإسرائيل هي الأخرى أكذوبة كبرى لا تقوم على أساس من المنطق أو العدل .. وسننقضي على هذه الجرثومة بالحكمة والإصرار والإيمان الذي لا يتزعزع .. وسنعود إلى المعركة الكبرى أكثر قوة وثقة وإيماناً ، ونعود وليس وراء ظهورنا خيانة تدبر ، نعود بقيادات جديدة ، وعند ذلك سيكون النصر أكيداً أيها الإخوان .. بإذن الله .."^٤

^١ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ١٤٥ .

^٢ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ١٥٨ .

^٣ القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية : ٢١٦ .

^٤ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ٢٦٢ .

آمالهم تتجلى خلال الرسائل من ساحات المعركة :

رسالة من الوالد إلى ابنه المرباط : " شقيق الروح والفؤاد .. أكتب إليك من القدس حيث المسجد الأقصى وقبة الصخرة من المدينة العريقة ذات التاريخ والأجداد .. لكن صدقني أن المدينة تبدو في نظري كالرجل المريض المتهالك .. إنها مدينة تعيش الآن بلا رونق ، يزحم شوارعها لاجئون ممزقو الثياب ، كسيرو النظرات ، كلهم يحسون بالغربة والهوان .. وقد لاحظت يا عزيز أن كثيراً من الأطفال يموتون في هذه الأيام .. فلا رعاية صحية ولا غذاء جيد ولا ابتسامات تعلو الشفاه ...

لكن عبر الظلمات المدهمة تتطلق شرارات أمل .. الناس هنا ما زالوا يؤمنون بالله وبالحق الذي يناضلون من أجله ... آلاف من الرجال مرابطون على سفوح الجبال ، وفي بطون الصحارى ، وعلى مشارف المدن والقرى والمستعمرات : كلما تذكرت ذلك زاد إيماني بالمستقبل .. " ^١ .

وفي رسالة أخرى يكتب : " كلمة واحدة ، هي أني أحبك ... لماذا ؟ لأنك رجل تتمثل فيك أحلام أمة تأبى أن يقهرها الطغيان ، ولأنك تشق الطريق مع رجال أفذاذ لا يرجون من الناس جزاءً ولا شكوراً .. أنتم ملائكة في عالم الأبالسة .. فليحرسكم الله ، وليكتب لكم النصر ... وسأنتظر يوم العودة على أحر من الجمر " ^٢ .

وفي رسالة من الابن إلى والديه :

" أبي وأمي سلام الله عليكما ورحمته وبركاته

أكتب إليكم وطوفان من المشاعر الحلوة الشجية يغرقني في بحره .. . إننا نتقدم دائماً ولا نتقهقر خطوة واحدة إلى الوراء .. الله معنا يا أبي ! وذلك لأن الحق في جانبنا ، لأننا نخوض في معركة الشرف والحرية .. " .

" أبي إنني أكتب إليك بسرعة ، من فوق قبة عالية تشرف على منطقة يهودية شرسة ، نزمع في القريب العاجل مدهمتها .. وسنحتلها بإذن الله .. " ^٣ .

^١ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

^٢ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ١١١ .

^٣ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

الصبر والمقاومة :

وأقوى ما يملكون من قوة وزاد هو الصبر والمقاومة ، وذلك نداء إلهي في طي آيات كتاب الله العزيز : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ)^١ .

قائدهم يوجه إليهم الكلمات التالية : " يجب أن نصبر ونقاوم .. ألسنا مؤمنين ؟ إنها محنة ، وستزول بإذن الله تعالى .. كثير من الناس كانوا يقيسون حياة الفقر والضياع قبل النكبة .. كنتم لا تشعرون بهم وكانوا يعيشون ، ويحاولون شق طريقهم وسط الصخور والمتاعب ، إنه امتحان ابتلانا الله به ، ويجب أن نكون رجالاً في احتمال الصعاب .. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [آل عمران : ٢٠٠] .
ألا يستطيع الإيمان العميق أن يحول اليأس إلى أمل ، والهزيمة إلى النصر ، والأنين إلى أغنيات عذبة حلوة النغم ؟ .. " ^٢ .

مساعدة هؤلاء الأبطال عن طريق الكتابة والقلم :

يشير الكيلاني خلال هذه الرواية بأن هناك عدة طرق للمساعدة والتعاون ، ومنها مساعدة عن طريق الكتابة والقلم .. القلم ربما يعمل كالسيف . فعلى أهل القلم أن يقدموا مساعدتهم عن طريق قلمهم : " وقف شاب من الأزهر الشريف فوق سريره ، وقال : إنني لا أخوض المعركة بمدفعي فحسب ، بل إن لي قلماً من نار .. أنا أكتب من آن لآخر قصيدة ملتهبة من الشعر عن فلسطين الحبيبة .. قال :

وحيفا والروابي الخضراء والشيطان والنهر وعذراء لها عينان يهفو منهما السحر
وأغنية مهمومة سداها الحب والبشر طواها عاصف الطفيان في لجج من الألم
حضارات وأمجاد .. وأعلام وفرسان وأرض تثبت الأخيار والأطهار من قدم " ^٣

تضرعهم وابتهالهم إلى الله :

" نعم ! لم يبق إلا دعاء وتضرع وابتهال ، وإليك كلمات تتبع من

^١ القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية : ١٥٢ و ١٥٤ .

^٢ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

^٣ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ١٤٧ .

أعماق قلوبهم نيابةً عن أهل هذه الأرض الطيبة : " نسيناك يا إلهي فأنسيتنا أنفسنا .. وشغللتنا الدنيا ثم غدرت بنا ، وتصاممنا عن ندائك فسلطت علينا أعداءنا ، اللهم لا ملجأ منك إلا إليك .. اللهم لا ملجأ منك إلا إليك .. أتترك أرضنا الطاهرة .. أرض الأنبياء يلوثها الكفرة والمعتدون " ١ .

" لقد رفع وجهه الدامع الحزين إلى الله ينشد العدل والعون ، وكان قلبه المفجوع يهتف في صمت " إلهي ضاقت بنا الأرض على رحباتها فهل أطمع في أن أجد إلى جوارك السعة والصفاء والسلوى ؟ إلهي ! قست قلوب البشر وتوسلوا بالشر والخطيئة ، وقامروا بحياة عبادك ومستقبلهم فهل تسكب على قلوبنا الملتاعة غيث رحمتك وجميل هدايتك ؟ .. " ٢ .

ولكن مجرد الدعاء لا يكفي :

يجب أن يكون مع كل ما استطاع المؤمن من إعداد وقوة (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُّوا لَكُمْ) ٣ .

" إن مجرد الدعاء لا يكفي ، الله لا ينصر القاعدين الكسالى ، ولا يستجيب الدعاء الأجوف الذي لا يدعمه العمل الشاق المتواصل ، إذ يجب أن يصدر الدعاء من قلب مؤمن بالنضال والعرق والتضحيات ، من قلب يلهب من الكدح الدائم ، وطبيعة المعركة الحالية تستلزم هذا اللون من الإيمان والعبادة ٤ .

الخاتمة :

خلال هذه الرواية أراد الدكتور نجيب الكيلاني أن يقدم للأمة الإسلامية صورة أرض الأنبياء من ظلم وطغيان وبغي وفساد يقوم به الاحتلال الصهيوني صباح مساء بكل معاني الوقاحة والشراسة وصورة أخرى للمؤمنين المرابطين الأمجاد الباسلين بكل ما يملكون من إيمان وقوة وصبر ومقاومة وتضحية وفداء ، وينادي أهل العلم أن يقدموا مساعداتهم عن طريق الكتابة والقلم والمنبر والمال والثروة والحوار والمفاوضات لحل قضية أرض الأنبياء ، اللهم عجل نصرهم يا أرحم الراحمين !

١ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ١٣ .

٢ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ٢١٢ .

٣ القرآن الكريم ، سورة الأنفال ، آية : ٦٠ .

٤ أرض الأنبياء ، نجيب الكيلاني ، ص ١٨٥ .

رحلة إلى الأردن بين المقدسات والمعالم

(الحلقة الأخيرة)

الأخ الأستاذ السيد عبد العلي الحسني الندوي*

كانت الشمس تغرب عقب مدينة " إيلات المحتلة " وراء البحر الأحمر ، إذ دخلنا في مدينة " العقبة " الأردنية المينائية الوحيدة ونزلنا وسط البلد باحثين عن نزل رخيصة ذات أسعار منخفضة ، ولكن بعد الاستعلام الطويل عن فنادق اقتصادية عديدة وجدنا أن رسومها رغم كونها اقتصاديةً غالية جداً بالنسبة لنا ، فكنا فيما بين الجولان والدوران من فندق إلى آخر للبحث عن الحسومات والتخفيضات في الأسعار والتفاوض والتساوم للتوصل إلى الاتفاق المنشود إذ صادفنا شاباً وسيماً على حافة الطريق ، وكان الشاب ممتازاً في الأخلاق ، ويبدو من ملامحه وشيمه وأدابه أنه شاب مثقف يحب رجال الدين ، فعندما تعرّف على بحثنا المتواصل عن فندق ميسور التكلفة اصطحبنا معه إلى فندقه ، وكان فندقه من طابقين وفي كل منهما غرف شاغرة ، واقترح لنا صاحب الفندق أن نحجز جناحاً في الطابق العلوي بتكاليف مناسبة للميزانية فحجزناه دون تردد ، ونزلنا فيه ، وبعد الانتعاش واستعادة النشاط والحيوية ، أسرعنا في الخروج من الفندق لاستكشاف المدينة .

نحو ميناء العقبة :

نحن الآن نمشي نحو ميناء العقبة حين غربت الشمس في عين حمئة ، ويرخى ظلام الليل ستاره ، وكاد الدجى يسود في آفاق المدينة المخططة المتطورة الجميلة مما رأيته من نظافة وتخطيط حديث وتصميم جاد قويم في أكثر المدن في المملكة الأردنية .

انتهينا إلى شاطئ خليج العقبة الذي يقع بمسافة يسيرة من فندقنا ، ومكثنا هناك لدقائق في جمال الهدوء وسكون الليل ، وتمتعنا بنسماته

* نجل الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي .

الناعمة المرهفة اللطيفة التي ربما تحكي كل ما في خواطرننا من مشاعر دافئة وأحاسيس جياشة . وتمشيننا على رمال الشاطئ بخطوات متثاقلة إذ كانت أقدامنا تلامس الأمواج الخفيفة المداعبة بالوجدان ، المغذية للأفكار والحافزة للانطباعات ، وهذه هي اللحظات التي تولد في مهجة الشاعر أبياته الحبيبة ويحرر للمفكر أفكاره العويصة ويكشف للفيلسوف عجائب جديدة ، ولكن بما أنني لم أكن أياً منهم فاضطررت إلى الاكتفاء بهذه الجمل المكسورة لصياغة عواطفني المتدفقة .

سياحة البلدة على الدراجة الهوائية :

وبعد قليل بدأنا نتجه نحو الفندق إذ مررنا بمتجر تأجير الدراجات الهوائية بأسعار معقولة ، فاستأجرت أنا ورفيقي الأخ عفان دراجتين للثقل والتجول حول المدينة ، وعاد الأخ صديق أحمد الندوي إلى الفندق لشئئ من الاستراحة ، ونحن ركبنا دراجتنا لنسيح بها أوساط المدينة وأطرافها التي تجمع بين التاريخ القديم والحدثة الرائعة ، فكانت المدينة في واقع الأمر نموذجاً يحتذى به في الانسجام الرائع البديع الفريد في المملكة بين المعالم التاريخية المحفوظة والمحميات الأثرية المذهلة من ناحية ، والبنية التحتية والمرافق المتطورة الحديثة الأكثر نظافة وجمالاً مع الطرق الأنيقة البهية والأجواء الهادئة دون مشاهد فوضوية في وسط المدينة من ناحية أخرى ، ركبنا دراجاتنا الهوائية عبر كل زاوية من زوايا وسط المدينة ، وشاهدنا هذه المدينة الجميلة ، وبتعبير أصح شعرنا بها ، شعرنا بالسلام والهدوء والتطبيق الجيد للنظام والقانون ، والحس المدني الرائع النموذجي الملموس والوعي الثقافي الممتاز من اعتناء السواد بالقوانين العامة ومراعاة الواجبات والحقوق الاجتماعية المتبادلة بين عامة الناس بشكل أفضل وأحسن من معظم المدن الأخرى التي زرناها في رحلتنا هذه للمملكة ، ولم يخطر ببالنا ولو للحظة شعور بالفرع أو القلق أو حتى بعدم الارتياح فيما بين الطريق ، تجولنا على الدراجة لأكثر من ساعتين ، وشعرنا أن التجول في شوارع المدينة المصممة المصقولة على الدراجة الهوائية متعة ليس كمثالها متعة ، لاسيما إذا كانت المسارات المخصصة متوفرة والطرق الجميلة مهيئة لركوب الدراجات ، وبينما كنا في طريق العودة إلى محل

تأجير الدراجات لإعادة دراجاتهم ، خطرت في أذهاننا فكرة مفاجئة ، وهي ترتيبات العودة إلى المملكة العربية السعودية ، فحاولنا العثور على شركة نقل بالباصات ، ووجدنا موقعها بسهولة على خريطة غوغل ، فهرعنا إليها مخافة إغلاق الشركة لتأخر الوقت ، ووصلنا بمنة الله على هامش الأوان الأخير ، ولكن عندما استعلمنا عن جدول الحافلات التي تغادر إلى السعودية ، أحاطنا أحد موظفيها علماً بأن الحافلات الموجهة إلى المملكة السعودية غير متاحة للغد ، فعدنا خالي الوفاض وأعدنا الدراجات إلى المتجر ، وصلينا في مسجد جميل يقع بقربه ، وانصرفنا إلى الفندق للاسترخاء والتهديئة بعد أنشطتنا المتواصلة المرهقة المنهكة ، فأسلمنا أجسادنا المجهودة المكدودة إلى الأسرة الناعمة الدافئة ، ونمنا على اسم الله وشكره الذي ملأ الجفون حتى ذهب عنا التعب والغناء وكنا مستعدين لليوم التالي ، منتعشين لاستكشاف ما تيسر لنا من أماكن تاريخية وأنشطة يمكننا ممارستها في ساعاتنا الأخيرة في المملكة .

نقطة التقاء الدول الأربع :

عبر نسيم الصباح البارد كنا نتجه للمرة الأخيرة نحو الشاطئ الذي تنتهد وراءه أرض فلسطين المحتلة المضطهدة تأوهاً وأنيماً ، انتهينا إلى الشاطئ قبيل الساعة التاسعة صباحاً وجلسنا على الرمال البيضاء مولين شطر الأرض المحتلة المتوهجة المشرفة تلالها وهضباتها بين أعيننا على مسافة ميل أو ميلين من ذراع البحر الأحمر الشمالي المسمى بخليج العقبة ، حيث تلتقي أربع دول عربية كبيرة نتمكن من الإطلال على كل منها من ميناء العقبة الأردنية ، فبينما كنا في الأردن على الساحل الغربي من خليج العقبة نشاهد بأم أعيننا فلسطين المحتلة المظلومة المنكوبة التي كانت بين أيدينا على الساحل الشرقي من الخليج ، وإلى يسارها مباشرة تلوح سلسلة جبال سيناء الواقعة في جمهورية مصر العربية ، وعلى مسافة بضع كيلومترات في جانبنا الشرقي من هذا الخليج تبدأ سلسلة شواطئ الجزيرة العربية التي تمتلك الساحل الشرقي الأطول من الخليج وتسيطر على جزيرتي " تيران " و " صنافير " المهمتين الاستراتيجيتين عند مدخله .

العلامة محمد الرابع الحسني الندوي

رائد الصحافة العربية والإسلامية في الهند

د . غياث الإسلام الصديقي الندوي*

أستاذنا ومربينا العلامة الشيخ محمد السيد الرابع الحسني (١٩٢٩ - ٢٠٢٣ م) كان من عباقرة الزمان الذين أدوا دوراً مهماً في تنشيط حركة العلم والأدب ، وقدموا مآثر جلية في مختلف مجالات الحياة ، وقاموا بتربية الأجيال تربية إيمانية مصحوبة بالعلم والعرفان . كان خلفاً رشيداً لخاله العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وخيراً نموذجاً للسلف الصالح في علمه وحلمه ، وصبره وقناعاته ، وحكمته وبصيرته ، وعطفه وحنانه ، وثقته بالله ، وحبهِ لرسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم ، وما إلى ذلك من ميزات المؤمنين الصادقين ورجال الدعوة والعزيمة .

أهمية الصحافة في ضوء كتاباته :

قد أبرز العلامة الندوي أهمية الصحافة في كتاباته ، فيرى أن الصحافة تفوق الكتب والإنتاجات الأدبية الأخرى نفعاً وتأثيراً لأنها تنقل بسهولة الموضوعات والأفكار المتجددة إلى القراء . وتتجلى أهمية الصحافة إذا كانت في نطاق الجرائد اليومية أو نحوها ، فقد يجد قارئها توجيهات وتعاليم يومية ، بل يتلقون دروساً منظّمة متلاحقة كالغذاء الرتيب . أما الصحافة الشهرية فتزداد نفعاً وتأثيراً إذا حصرت نفسها في المجالات العلمية والأدبية والدينية والاجتماعية ونحوها من الموضوعات ، التي يغلب عليها اللون العلمي والأدبي ، فإن طبيعة الصحافة الشهرية فكرية رزينة في معظمها ، وتؤثر تأثيراً لائقاً منشوداً إذا جاءت بفترات تتناسب مع رغبة القراء ، ويرغب فيها القراء ويحرصون على دراستها وتصفحها على قدر السعة في وقتهم واستعداد نفوسهم ، ولا يقبل على مثل هذه الصحافة عامة القراء إلا إذا كانت الصحيفة شيقة في محتواها ، رائقة في ظاهرها^١ .

* محاضر ضيف لغة العربية بالكلية الطبية الأيورفيدية اليونانية التابعة لجامعة دلهي .

١ الحسني الندوي ، الشيخ محمد الرابع : مقالات في التربية والمجتمع ، ص ٩٧ - ٩٨

كان الأستاذ يطلع على دقائق الصحافة وأسرار تأثيرها في المجتمع ، وله علاقة وطيدة بمختلف المجالات الوطنية والدولية دراسة وإفادة ، فقد أشار إلى مواضع ضعفها كما أبرز أهميتها وإفادتها في المجتمع ، فيقول: "ومما يضر بالصحافة الشهرية ويخفف رغبة الناس إليها أن يتهاون أصحابها في تقيدهم فيها بالنظام والموعود ، ولذلك لا بد لأصحابها من أن يضعوا خطة لا ينحرفون عنها فيجب أن تصدر المجلة في موعدها وحسب نظامها وتلتزم بمبادئها التزاما دقيقاً ، وإذا قصرت فترة صدور الصحيفة وبدأت تصدر في أقل من مدة أشهر ، فيلزم حينئذ أن تمزج محتواها بمادة تسترعي الالتفات وتحمل الترفيه الثقيل بصورة أكبر ، لأن المجلات الأسبوعية أو النصف الشهرية تكون في وسط من الصحافة الشهرية والصحافة اليومية فهي تتجه أسلوباً مختلفاً عن الصحافة اليومية وعن الصحافة الشهرية جميعاً ، وهي وإن كانت تسير على خطة الصحافة الشهرية ، ولكنها تحمل جانباً من طبيعة الصحافة اليومية ^١ .

يتعرض الأستاذ لسعة مجالات الصحافة وتنوع أشكالها ، فيوضح أنها تحاول نظراً إلى شمولها واتساع نطاقها أن تجمع بين سائر نواحي الحياة السائدة من الأحداث والوقائع وأخبار الفرح والسرور والهم والحزن والمآدب والمآثم والاحتفالات والاجتماعات والتصريحات والإعلانات والأوضاع السياسية والتعليقات عليها ، والثقافة والاقتصاد ، والعلم والأدب والطرائف والنوادر ، وهكذا يجد أفراد الطبقات والطبائع والأذواق المختلفة بغيتهم في صحيفة واحدة ، ولذلك يواظب الناس على متابعة الصحف والجرائد كل يوم ^٢ . وقد أصبحت الصحافة اليوم فناً من الفنون وصناعة من الصناعات يجري تعلمها والتدرب عليها في المدارس والجامعات ، ويعنى فيها بتسييق الأنباء والأحداث واختيارها ، والتعليقات والتحليلات ، وطبيعة الافتتاحية ووزانتها ، وتحسين اللغة والأسلوب ، وترتيب العناوين وإيجاز الأنباء ، والاستعراضات ، ونشر الصور في حدودها المشروعة ^٣ .

^١ الندوي ، الشيخ محمد الرابع الحسني : مقالات في التربية والمجتمع ، ص ٩٨ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ١٠٢ .

^٣ الندوي ، الشيخ محمد الرابع الحسني : العالم الإسلامي اليوم قضايا وحلول ، ص

أهداف الصحافة :

في نظر العلامة الندوي تعمل الصحافة كأداة تربية ناجحة إذا كان هدف الآخذين بزمامها نبيلًا بناءً ، وتصبح أداة هدم وإفساد إذا كانت العقول المخططة من ورائها هدّامة مفسدة ، وهي بذاتها ليست إلا مجرد أداة ووسيلة ، ولكنها تخضع لإرادة من يصرف زمامها^١ . ويهتم أصحاب المجلات والصحف بالفن والمتعة الأدبية والتسلية ، ولكن بعضهم يتخطى الحدود ، فلا يميز بين الحق والباطل ، بل يركز عنايته على توسيع نطاقها ودائرة انتشارها ابتغاءً للمال والثروة أو المنافع المادية الأخرى ، وهؤلاء لا يعملون إلا لإثارة الأهواء والشهوات النفسية والغريزة الجنسية البشرية طلباً لزيادة عدد القراء وتضخم ثروتهم المالية ، فأصحاب هذه المجلات من ناحية يزيّدون مواردهم المالية واكتسابهم لمنافع هابطة قذرة ، ومن ناحية أخرى ينشرون الفساد والانحلال والفوضى الخلقية والميوعة والخلاعة في العالم ، وتصديق عليهم الآية الكريمة : (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) [النور : ١٩] وتدخل في هذا المجال أيضاً مجلات تركز على معارضة القيم والمثل الدينية والخلقية البحتة ، كما أنها تبث السموم في المجتمع وتقطع علاقة الناس بربهم^٢ .

مجلة البعث الإسلامي :

مجلة البعث الإسلامي من أهم المجلات العربية الشهرية المنشورة في الهند ، وهي معروفة ومقبولة على المستوى الدولي ، وتقدم مقالات علمية وأدبية وتربوية تمثل الفكر الإسلامي تمثيلاً رائعاً . إنها بقيت وحيدة من بين أخواتها بأنها لا تزال تنشر منذ بدايتها حتى اليوم بدون توقف ، وقد توقف صدور شقيقاتها بأسباب مختلفة ، فلا توجد اليوم في أرجاء الهند مجلة عربية منشورة أخرى أقدم منها . فاستمرار هذه المجلة في النشر والإفادة بتوفيق الله سبحانه وبجهود حثيثة لم يزل ولا يزال يبذلها القائمون عليها في تقويمها وتطويرها ، ومنهم أستاذنا الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي الذي كان على صلة وثيقة بها منذ أول يومها إذ أسسها الكاتب الإسلامي والأديب الأملعي

١٠٣ - ١٠٤ .

^١ الندوي ، الشيخ محمد الرابع الحسني : مقالات في التربية والمجتمع ، ص ٩٧ .

^٢ الحسني الندوي ، الشيخ محمد الرابع : مقالات في التربية والمجتمع ، ص ٩٩ .

الشيخ محمد الحسني في عام ١٩٥٥م ، ونشر أول أعدادها ، وهو يشمل كتابات ممتعة لسته من كبار الأدباء والمفكرين ، وهي بالترتيب كالآتي :

"أهدافنا" للأستاذ محمد الحسني .

"الكتب التي عشت فيها" لسماحة الأستاذ أبي الحسن علي

الحسني الندوي .

"الأدب قوة" للأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي .

"السيد أحمد الشهيد" للأستاذ محمد راشد الندوي .

"الشاعر محمد إقبال يناجي العرب" للأستاذ سعيد الأعظمي

الندوي .

"قرأت لك" للأستاذ حسن البنا .

وقد أوضح الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي في مقالته أهمية الأدب ومدلوله وقوته بالإضافة إلى دوره في توجيه المجتمع البشري ومصير الإنسانية ، ونجده فيها قائلاً : "إن الأدب قوة غريبة منحها الله الإنسان ، تأتي بالعجائب ، وتوجد المعجزات ، وتسخر العالم مادام مصحوباً بقوة شخصية أو قوة قلبية . وثورة القلب وقوة النفس حينما تدخلان في الأدب تجعلانه عاصفة هوجاء وسيلاً طامياً يرغب العالم على أن يغير مجراه ويحول طريقه . والأدب قوة مادام مدعماً مؤيداً بالعاطفة والمنطق والخيال ، ومحركاً بالبلاغة وحسن اللفظ ، فإنه قوة ، قوة الدعوة أو قوة الضمير أو قوة العلم أو قوة القلب أو قوة اللسان . أمّا الأدب الذي ليس فيه إلا عبارات مموهة وألفاظ برّاقة وترصيع كلام وتطريز بالأحاجي فهو أدب لا يجدي نفع ، ولا يبشر بخير ، ولا يأتي بالإنتاج ، ولا يدلّ على نقاء ذكاوة" ^١ .

وعلى هذا المنوال كان العلامة الندوي يكتب في هذه المجلة بمناسبةات مختلفة حول موضوعات أدبية وفكرية ، ويزودها بمقالاته النافعة الرائعة . وهذه المقالات لها صلة بالأدب الإسلامي وأعلامه ، فلو جمعت هذه المقالات في كتاب لكان ذلك مؤلفاً قيماً .

ومن خلال مقالاته المنشورة في هذه المجلة ، تتجلى شخصيته العلمية والإسلامية ، كما يتضح اهتمامه واعتناؤه بها ، بأنه لم يزل يرفدها بكتاباته المفعمة بتوجيهاته السديدة وتجاربه الطويلة ودراساته

^١ البعث الإسلامي ، ع ١ ، ج ١ ، ص ١٥ .

الواسعة العميقة ، ويؤدي دوره في تطوير هذه المجلة ، ويخدم الصحافة العربية عن طريقها على مدار الحياة . وبدون شك إنه كان دعامة أساسية لهذه المجلة ومن أهم مصادرها الفكرية والأدبية التي تحتل بسببها مكانة مرموقة في سماء الصحافة الإسلامية والإعلام العربي المعاصر .

وقد صدر له آخر مقال في المجلة في العدد الخامس ، المجلد التاسع والستين ، وظل مشرفاً على المجلة طوال حياته ، فإحياءً لذكرياته أصدرت المجلة حول شخصيته وأفكاره عدداً خاصاً عام ٢٠٢٣ م .

صحيفة الرائد :

قدم الأستاذ نموذجاً عملياً للأهداف الصالحة للصحافة عن طريق إنشاء جريدة الرائد ، وهي عنده ليست كجريدة تصدر وتنتشر من مدرسة من المدارس العربية ، بل كانت تحمل عنده فكرة جامعة لتعليم اللغة العربية ، ومنبراً صادقاً لنشر الفكر الإسلامي ، ومدرسة صحفية لتربية الأجيال الناشئة ، كما كانت همزة وصل بين العرب والعجم لتبادل الأفكار والاتجاهات البناءة ، ولا شك أن هذه الأهداف قد تحققت بأكمل صورها وأشكالها في حياة أستاذنا الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله^١ .

لقد وازب الشيخ على الكتابة فيها طوال الحياة ، وظل مشرفاً عليها ، ورعى جيلاً تلو الآخر على الكتابة بالعربية عن طريق هذه الصحيفة . وهي لا تزال على قدم وساق ، وتصدر عن دار العلوم لندوة العلماء ، ولم تتوقف لبرهة من الزمن في حين كثيرة من أخواتها بدأ صدورها وتوقف بعد زمن يسير أو طويل في مختلف أرجاء الهند .

وعلى حد تعبير أستاذنا الجليل الدكتور سعيد الأعظمي الندوي : " هذه المأثرة اللغوية التي يتصف بها أستاذنا الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي كانت ولا تزال بمثابة "إنجازات عملاقة" ، فكان أمة في رجل ، وكانت صحيفة الرائد ليست عنده كجريدة تصدر وتنتشر من مدرسة من المدارس العربية ، بل كانت تحمل عنده فكرة جامعة لتعليم اللغة العربية ، ومنبراً صادقاً لنشر الفكر الإسلامي ، ومدرسة صحفية

^١ الندوي ، د . سعيد الأعظمي ، جريدة الرائد ، مايو - أغسطس ٢٠٢٣ م ، ص ١٤ .

لتربية الأجيال الناشئة ، كما كانت همزة وصل بين العرب والعجم لتبادل الأفكار والاتجاهات البناءة ، ولا شك أن هذه الأهداف قد تحققت في هذه المدة بأكمل صورها وأشكالها ، وكل ذلك بجهود واعتناء أستاذنا الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله^١ . ومما لا يختلف فيه اثنان أن صحيفة " الرائد " تطبيقاً مثالياً رائعاً لفكرة قدمها مؤسسها العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي عن الصحافة ، واستخدمها لخدمة الصحافة العربية الإسلامية ، وتثقيف الأذهان بالثقافة الإيمانية ، وإبراز الحقائق الثابتة ، وازدهرت الصحيفة في حياته كأنها " تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها " ، وهي أقدم صحيفة نصف شهرية في الهند ، لا تزال تصدر وتؤدي مسؤوليتها العلمية واللغوية والأدبية ، فلو لم تكن أي خدمة لأستاذنا رحمه الله في حياته العامرة بالإنجازات والأعمال الجليلة سوى هذه الصحيفة لكان ذلك مفخرة له ، وذخيرة نافعة له في ميزان حسناته .

مجموعات مقالاته المنشورة في الصحف والمجلات :

ظل العلامة الندوي يكتب حول موضوعات متنوعة ، ويستخدم الصحافة لبث الأفكار البناءة والتوجيهات السديدة ، فنشرت له ثماني مجموعات لمقالاته المنشورة في الصحف والمجلات وهي :

(١) " العالم الإسلامي اليوم : قضايا وحلول " ، (٢٣٦ صفحة) ط ٢ ، المجمع الإسلامي العلمي ، ندوة العلماء ، لکناؤ ، عام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .

(٢) " عالم إسلام اور سامراجي نظام : امکانات ، اندیشے ، مشورے " (٢٥٦ صفحة) ، مجلس تحقیقات ونشریات اسلام ، ندوة العلماء لکناؤ ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .
(٣) " مسلم سماج : ذمے داریاں اور تقاضے " (٢٠٠ صفحة) ، دار الرشید ، لکناؤ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

(٤) " حالات حاضرہ اور مسلمان " (٢٢١ صفحة) ، ط ٢ ، مجلس تحقیقات ونشریات اسلام ، لکناؤ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

(٥) " غبار کارواں " (باللغة الأوردية ، ٢٣٤ صفحة) ، ط ٢ ، شعبہ نشر

^١ الندوي ، د . سعيد الأعظمي ، جريدة الرائد ، مايو - أغسطس ٢٠٢٣م ، ص ١٤ .

واشاعت ، عالمي رابط ادب اسلامي ، لکھنؤ ، ١٤٢٦ھ / ٢٠٠٥م .
 (٦) " أضواء على الأدب الإسلامي " (١٤٢ صفحة) ، ملتزم النشر والتوزيع ، رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، لکناؤ ، ١٤٢٣ھ / ٢٠٠٢م .
 (٧) " رسالة المناسبات الإسلامية " (١٣٨ صفحة) ، دار عرفات ، راي بريلي ، ١٤٢٤ھ / ٢٠٠٤م .
 (٨) " الغزل الأردني محاوره ومكانته في الشعر " (١٣٥ صفحة) ، ط ١ ، مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، لکناؤ ، ١٤٢٧ھ / ٢٠٠٦م .
 هذه المجموعات لكتابات المنشورة في مختلف المجالات العربية والأوردية عبارة دراسات عميقة وتجارب واسعة وأفكار طويلة في مجالات العلم والأدب والثقافة وطرق الإصلاح للمجتمع ، وزود أستاذنا بكل ذلك القراء والمثقفين عن طريق الصحافة .
خاتمة البحث :

نجد فيما سبق أن للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي إسهاماً بارزاً في الصحافة ، بحيث أنشأ صحيفة الرائد ، وهي إنجاز كبير في مجال الصحافة . وبالإضافة إلى ذلك ، أشرف العلامة الندوي على عدة مجالات ، وواصل الكتابة فيها . إنه كان يشغل مناصب مختلفة ، وعلى كواهله مسؤوليات متنوعة من التعليم ، والتربية ، ورئاسة رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئاسة ندوة العلماء ، ورئاسة هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ، فكتب حول موضوعات كانت تتناسب وتتأغم مع مسؤولياته ومناصبه .

ومما لا ريب فيه أن العلامة محمد الرابع الحسني الندوي كان رائد الصحافة العربية والإسلامية في الهند ، وتشهد على ذلك خدماته الصحفية التي ما زالت تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، والتي استمرت زمناً أطول من نصف قرن ، وكل من يستعرض مقالاته الصحفية يجد أنه استخدم الصحافة لإبراز الحقائق التاريخية ، وأوضاع العالمين العربي والإسلامي ، وحقائق العالم المتحضر ، ولبث القيم الإنسانية الاجتماعية البناءة ، وأدى دوراً مهماً في مجال الصحافة الإسلامية في الهند بصفة خاصة . فلا يزال يستفيد بكتابات ومقالاته المعنويون بالفكر الإسلامي والصحافة العربية والإسلامية إلى أمد بعيد ، وتفتح بها الأذهان وتتور بها القلوب .

نوع جديد من الشعوبية

محمد فرمان الندوي

اليوم العالمي للغة العربية :

اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر يُعرف كيوم عالمي للغة العربية ، ويجري الاحتفال به كل عام في شهر ديسمبر منذ ١٩٧٣م بمناسبة إدخال اللغة العربية ضمن لغات الأمم المتحدة ، ولغات العمل فيها ، فتُعقد احتفالات وجلسات أدبية ولغوية في كل السفارات والجامعات والكليات العربية من العالم العربي ، ويبيدي فيها المعنيون بالموضوع ، انطباعاتهم عن اللغة العربية وسعتها وشمولها وخلودها مع خلود الزمان ، فتصدر قرارات واتفاقيات ، وينتهي الأمر إلى العام المقبل ، هذا ما نراه كل عام على الساحة العالمية .

كل لغة ليست مجرد لغة وأداة تفاهم ، وتبادل خواطر ، بل هي تحمل ثقافتها ، وحضارتها ، وتخزن تاريخها وأحوالها ، وكلما ضعف شعب وانحط كان أحد عوامله ضعف اللغة وتطرق اللغات الأجنبية إليها ، ولله در الكاتب القدير مصطفى صادق الرافعي حينما يقول : ما ذلت لغة شعب إلا ذل ، ولا انحطت إلا كان أمرها في ذهاب وإدبار (وحي القلم : ج ٢٧/٣) ، فالحفاظ على اللغة وصيانتها من الضياع من مسؤوليات الناطقين بها ، وبذلك لا يمكن فقط حفظ كلمات وحروف من الضياع ، بل يضمن ذلك عدم تعريض ثقافتها وحضارتها لمهب الرياح العاتية الهوجاء .

لغة تتربع على عرش الألسنة واللغات :

لا شك أن اللغة العربية أقدم لغات العالم وأثراها وأغناها ، وكفاها شرفاً أنها لغة أهل الجنة في الجنة ، وكانت لغة سيدنا آدم عليه السلام ، وهي نفسها لغة القرآن والسنة ، وقال الله تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) أي اللغات كلها ، ومنها اللغة العربية ، عاشت اللغة العربية في جنوب الجزيرة العربية ، وهي لغة فريدة فذة من نوعها ، لغة تتربع على

عرش الألسنة واللغات ، وما أحسن ما قال الإمام الشافعي : " لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً " (الرسالة : ج ٢ / ٢٥٣) .

وإن تعلم اللغة العربية ليس كتعلم معلّم ثقافيّ أو حضاري ، بل هو تعلم أحكام الدين وشعائره ، وهو من أهم الفروض ، وبه يعرف الكتاب والسنة ، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : إذا سألت عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب ، وقيل : " علم الحديث وعلم اللغة أخوان يجريان من واد واحد " ، وقال الشاعر :

حفظ اللغات علينا فرض كفرض الصلاة
فليس يضبط دين إلا بحفظ اللغات

(المزهري للسيوطي : ٢ / ٣١٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : أحبوا العرب لثلاث : لأنّي عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي (المعجم الأوسط للطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه) ، ولا شك أن العربية وسيلة لاختران الشريعة ، ووعاء لجمعها وترتيبها ، فلا يمكن التوصل إلى هذا الكنز الدفين ، والذهب الثمين إلا بمعرفة اللغة العربية ، فكما أن الضوء أساس لصحة الصلاة ، والسلالم لازمة للصعود إلى السقوف ، فكذلك تعلم العربية واجب شرعي على كل من ينطق بكلمة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بدون ذلك لا يكون المؤمن مؤمناً ومسلماً ، وقديماً قال الإمام ابن تيمية في كتابه : اقتضاء الصراط المستقيم : " إن نفس اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " (٢٠٧ / ٢) .

العربية ومسايرة الزمان :

بهذه الفضائل والخصائص نحو تعلم العربية أكب الناس على اللغة العربية قراءة وكتابةً ، ونطقاً وحواراً ، وخطابةً ومقالةً ، ولم يدخروا وسعاً في نشر العربية وتوسعة نطاقها ، فوجدت مكتبة كبيرة في العربية حول العلوم الإسلامية ، التي لا توجد في لغات العالم ، وهناك دول عربية تنطق فيها هذه اللغة ، ويوجد المسلمون على هذه الكوكبة

الأرضية بكثرة كاثرة ، وهم يؤدون شعائر الإسلام باللغة العربية ، فربح سكان الأرض يعرف العربية إما معرفة متقنة أو معرفة ضئيلة ، وقد نالت العربية في هذا الزمان من الشيوع والانتشار ما لم يكن في الزمن الماضي : وقد كونت دول الخليج سوقاً عالمية بوجود وظائف وفرص عمل فيها ، واختراع آليات ووسائل حديثة وغير ذلك ، فدخلت في العربية كلمات مستوردة جديدة ومصطلحات عصرية حديثة ، حتى خشي الغياري على اللغة العربية خطراً جسيماً ، واستتبعوا استعمال الكلمات الدخيلة في اللغة العربية .

نظرة على ثروة اللغة العربية توضح لنا أن هناك نوعين من اللغات : (١) اللغة العربية ذات الطابع القديم ، و (٢) اللغة العربية ذات الطابع الجديد ، وقد ذهب بعض النقاد إلى أنه لا فرق بين القديم والجديد ، لأن المصادر والأفعال والمفردات كلها واحد ، لكن لا يُنكر الفرق بين هذه وتلك سواءً بالأسلوب أو الألفاظ الحديثة وفق متطلبات العصر ، فما وُجد من الأسلوب في العصر الجاهلي لم يوجد في العصر الإسلامي والعباسي ، وقد تكدست المفردات في العصر الحديث باختلاط العرب مع العجم ، وأما حملة نابليون بونابارت التي كانت في عام ١٧٩٨م فلم تكن حملة عسكرية فقط ، بل كانت حملة علمية وأدبية ، فتغير الأسلوب الكلي البديع في العصر العباسي إلى الأسلوب الساذج البسيط ، وهو إبلاغ معنى الكلام إلى ذهن المخاطب في أسرع أسلوب ، وزخرت اللغة العربية في هذا العصر بأسماء جديدة ولافتات حديثة ، ولم تضق اللغة العربية عن اختراع الكلمات الجديدة ، وقال حافظ بك إبراهيم عن لسان حال اللغة العربية :
وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضقت عن أي بها وعظمت
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات
نوع جديد من الشعوبية :

وقد نشأت فكرة مغايرة لروح اللغة العربية أن تستعمل الكلمات الإنجليزية بعُجْرها وبجرها في قالب عربي إبداءً للتفرنج والتحضر ، وقد تجمعت في بعض الكتابات الكلمات الإنجليزية يكرهها الذوق العربي السليم ، ومن هنا تركزت عناية بعض الأدباء في العالم العربي بالتكلم

بالعامية في العربية ، نظراً إلى مخططات الاستشراق في عصر النهضة ، ثم خطأ هؤلاء العملاء خطوة أخرى إلى استعمال الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية ، كما كانت المحاولات الإلحادية في تركيا زمن مصطفى كمال أتاتورك ، فتجروأوا على كتابة مقالات ودراسات حول هذه الفكرة ، وقد سرت " لوثة الأعجام في العربية " حسب تعبير حافظ بك إبراهيم شاعر النيل كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات .

ولا شك أن مثل هذا الاستعمال محاولة مشؤولة لفرض اللغات الأجنبية على اللغة العربية ، ونوع جديد من الشعوبية ، وهي عدااء للعرب العرباء ، ولا شك أن هذا العمل دليل على مركب النقص والشعور بالضعف النفسي لدى كاتبتي اللغة العربية ، ولكن لا مانع أن تستعمل للآليات الحديثة الكلمات المولدة الدخيلة والمحدثه ، فإن الرفض الكامل للكلمات الحديثة يجعل العربية عقيمة ، وتنتشر عنها هذه الفكرة : إنها ميتة لا روح فيها ، ولا تصلح للعالم المتمدن ، فالعربية سخية وبأسطة أجنحتها لكل ما يستوفي من حاجيات الإنسان من الألفاظ المستوردة في جميع المجالات والاستعمالات ، ذلك لأن القرآن الكريم قد ذكر في آياتها كلمات من الزنجبيل ، والسندس ، والسرادق والاستبرق ، فإن العربية إذا قبلتها ببيتها العربية وتراكيبها النحوية صارت عربية ، لأن العربية ليست عبارة عن المفردات والكلمات ، بل هي فصاحة وبلاغة لا تخلو من قواعد النحو في تركيب الكلام وترتيبه على أساس المعاني المطلوبة ، وتستعير كل لغة من شقيقتها تعبيرات وكلمات حسب مقتضيات الزمان ، فلا يأتي شك في كون القرآن الكريم لساناً عربياً ، قال تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف : ٢] .

على كل ، فإن العربية لغة القرآن والسنة ، قد ضمن الله حفظ القرآن الكريم إلى يوم القيامة ، فلا يتطرق إليه تحريف أبداً ، ولا يطرأ عليه البلى والقديم ، وستبقى هذه اللغة العربية بضمان القرآن الكريم مصونة محفوظة من كيد الكائدين ومكر الماكرين ، قال تعالى : (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بَلِّغْ سَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) [الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥] .

رابطة الأدب الإسلامي العالمية تتعد ندوتها الحادية والأربعين في كولكاتا (الهند)

إعداد : الأخ أحمد الحسيني*

شهدت مدينة كولكاتا ، حاضرة الثقافة والتاريخ ، مهرجاناً أدبياً وتظاهرة علمية ، تمثلت في الافتتاح الرائع للندوة الحادية والأربعين لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (الهند) . وذلك في مبنى الحجاج بمنطقة نيو تاون بكولكاتا ، وامتدت فعاليات الندوة المباركة على مدار ثلاثة أيام ، من ٢١ إلى ٢٣ نوفمبر ٢٠٢٥ م . وقد نُظمت هذه الندوة تحت إشراف ورعاية مدرسة جبريل الدولية بالتعاون مع أكاديمية بنغال الغربية الأردنية ، حاملاً عنواناً مركزياً هاماً هو : التراث العلمي والأدبي الإسلامي في البنغال الغربية : شخصيات بارزة وإسهاماتها الفكرية والأدبية .

اليوم الأول :

استهلّت الفعاليات مساء يوم الجمعة بجلسة افتتاحية ، رأسها فضيلة الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي (رئيس الرابطة للدول الشرقية ورئيس ندوة العلماء بلكناؤ) . في كلمته التوجيهية ، وصف الشيخ بلال الحسني الندوي كولكاتا بأنها مدينة يعبق جوها بالسياسة والأدب والثقافة ، معتبراً عقد الندوة فيها ثروة كبيرة ومبعث سرور . وركز فضيلته على التحدي الذي تفرضه لغة الإعلام المعاصر ومقاصده ، مؤكداً حاجة الأمة الماسة إلى إعداد أدب إسلامي هادف وبناء ، وواصل خطبته في ضوء أولى الآيات من سورة الرحمن .

كما تحدث الأمين العام للرابطة الأستاذ عمير الصديق الندوي عن تاريخ الرابطة المشرق ، بينما أشار الأستاذ محمد إلياس البهتكلي الندوي إلى الدور التأسيسي للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) في تغيير خارطة الأدب عالمياً . كما رحب السيد نديم الحق (رئيس الأكاديمية الأردنية) بالضيوف ، واصفاً الندوة بـ الباب المضيئ في تاريخ كولكاتا العلمي ، وكان للأستاذ صباح إسماعيل ظفر الندوي (منسق الندوة) دور كبير في تنسيق الندوة العلمية والأدبية .

اليوم الثاني :

تميز اليوم الثاني بنشاط علمي مكثف وزخم غير مسبوق ، حيث

* الطالب في السنة الثالثة العالية بدار العلوم لندوة العلماء .

توافد أكثر من ٢٠٠ مندوب من كبار العلماء والمتقنين من ولايات الهند المختلفة (دلهي ، أتر برديش ، بيهار ، آسام ، وغيرها) ومن خارج البلاد . وقد تم تقديم ما يقارب ١٦٠ ورقة بحثية بخمس لغات : العربية ، والأردية ، والإنجليزية ، والهندية ، والبنغالية .

وكان الحدث الأبرز الذي ميز هذه الدورة وجعلها مثاليةً ، هو عقد جلسة خاصة للنساء لأول مرة في تاريخ الرابطة ؛ حيث قدمت فيها ١٥ / ورقة بحثية علمية وأدبية متميزة ، نالت إعجاب الحضور وأثبتت جدارة المرأة في ميدان الأدب الإسلامي .

اليوم الثالث :

تواصلت الجلسات العلمية حتى اليوم الثالث ، حيث ترأس الجلسات نخبة من العلماء ، وقدم فيها نحو ٣٠ باحثاً مقالاتهم بأسلوب منظم وشائق . وفي الجلسة الختامية ، التي سادها جو من الروحانية والأدب ، وضع رئيس الرابطة الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني النقاط على الحروف في تعريفه للأدب قائلًا :

" لقد وهب الله تعالى الإنسان نعمة اللسان ، ولكن الأدب ليس مجرد كلام ، بل هو وسيلة لنقل مشاعر القلب وما يختلج فيه من كيفيات إلى الآخرين بأسلوب مؤثر " .

كما صدحت أصوات المفكرين بآراء نيرة ؛ إذ أكد البروفيسور محسن العثماني الندوي أن الأدب ليس مجرد لسان ، بل هو حضارة وإراث ومخزون فكري ، مستشهدا بفكر العلامة إقبال كشعلة طريق للشباب . كما وصف الشيخ محمد خالد الغازي فوري الندوي (أستاذ الحديث بدار العلوم ندوة العلماء) الندوة بأنها تاريخية ومتفردة من حيث التنوع الإنساني والشمول مقارنة بالجلسات السابقة . وتخلل الحفل قراءة قصيدة مدحية للشاعر ماجد الديوبندي ، ومن أبرز المشاركين في الندوة الشيخ الدكتور أبو سحبان روح القدس الندوي .

وانتهت الندوة بتقديم آيات الشكر والتقدير ، حيث أشاد البروفيسور محمد حسان خان وجميع المشاركين بالجهود الجبارة التي بذلها الدكتور صباح إسماعيل الندوي (مدير مدرسة جبريل الدولية ومنسق الندوة) في حسن التنظيم وكرم الضيافة . وقد خرجت الندوة بتوصيات هامة ، أبرزها : العزم على ربط الجيل الجديد بالمطالعة والبحث ، وإطلاق حراك قومي لترويج اللغة الأردية وحفظها ، واستخدام الأدب كحصن منيع لمعالجة التأثيرات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي ، لتظل هذه الندوة علامة فارقة في مسيرة الأدب الإسلامي .

ندوة علمية حول شخصية العلامة الكشميري وإسهاماته العلمية

الأخ محمد أرقم السنديلوي*

عُقدت ندوة علمية حول الخدمات الجليلة والجهود القيمة للشيخ المحدث الكبير العلامة أنور شاه الكشميري رحمه الله في رحاب دار العلوم ديوبند (وقف) ، وذلك خلال يومي ٢٠ - ٢١ جمادى الآخرة ١٤٤٧ هـ ، الموافق ١٣ - ١٤ ديسمبر ٢٠٢٥ م .

وقد شارك في هذه الندوة عدد كبير من العلماء والباحثين والفقهاء ، إلى جانب رؤساء المؤسسات التعليمية وممثلي المنظمات الدينية ، مما أضفى على الندوة طابعاً علمياً رفيعاً ومكانة متميزة .

قد احتوت الندوة على خمس جلسات علمية ، وكانت الجلسة الأولى هي الجلسة الافتتاحية ، حيث ترأسها فضيلة الشيخ محمد سيفيان القاسمي رئيس دار العلوم (وقف) ديوبند ، وقدم كلمة رئاسية قيمة أعجب بها الحضور ، وأدار هذه الجلسة الأستاذ محمد شكيب القاسمي نائب رئيس دار العلوم وقف .

وفي مقدمة المتحدثين في الجلسة الافتتاحية ، ألقى كلمة مؤثرة الشيخ الجليل السيد محمد أرشد المدني ، رئيس هيئة التدريس بدار العلوم ديوبند ورئيس جمعية علماء الهند ، رغم ضعفه وعلته ، حيث عبر عن مشاعره الجياشة ، وبين أن العلامة أنور شاه الكشميري كان انعكاساً صادقاً لشيخه الجليل شيخ الهند رحمه الله . وأشار إلى ما كان يردده الأساتذة من أن الشيخ الكشميري كان متفناً في علوم شتى ، وله باع طويل في علوم القرآن والحديث والفقه ، ولم يكن له شاغل في حياته سوى القراءة والمطالعة ، وكان هدفه الإسمى في حياته العلم وحده ، لا يبتغي غيره .

كما ألقى كلمة ضافية فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحمانى رئيس هيئة الأحوال الشخصية في الهند ، حيث وصف العلامة الكشميري بأنه عليم من أعلام العلم ، وأن غزارة علمه ، وعمق فكره ، وصفاء ذهنه ، كانت تُحيي في النفوس ذكريات العصور الأولى ، ولا سيما عصر التابعين والعلماء النوايح .

وتحدث كذلك فضيلة الشيخ بلال عبد الحي الحسنى الندوي رئيس ندوة العلماء بلكناؤ ، فأكد أن الله تعالى منح العلامة الكشميري شهرة واسعة ، وصيتاً حسناً ، ومهارة تامة في علوم الحديث النبوي الشريف ، مع تميزه في علوم القرآن وغيرها من العلوم الشرعية الكثيرة ، مشيراً إلى قوة ذهنه ونباهته الفذة ، التي قل أن يوجد لها نظير .

* الطالب في السنة الثالثة العالية بدار العلوم ندوة العلماء .

وشارك في الندوة عددٌ من كبار العلماء والقادة الدينيين ، منهم : فضيلة الشيخ المفتي أبو القاسم النعماني ، رئيس دار العلوم ديوبند ، الأستاذ السيد سعادت الله الحسيني ، رئيس الجماعة الإسلامية في الهند ، والشيخ أصغر علي إمام مهدي السلفي ، رئيس جمعية أهل الحديث في الهند ، والأستاذ السيد أحمد ولي فيصل الرحماني ، أمير الإمارة الشرعية لولايات بيهار وأريسه وجهاركهند ، حيث عبّروا جميعاً عن مشاعرهم الصادقة ، وأفكارهم النيرة ، وكلماتهم القيمة حول شخصية العلامة أنور شاه الكشميري ، ومكانته العلمية ، وإسهاماته الخالدة في خدمة علوم الشريعة الإسلامية .

وبعد ذلك عقدت الجلسة الأولى برئاسة الشيخ المحدث نعمت الله الأعظمي القاسمي ، وتحت إدارة الأستاذ طارق الأيوبي الندوي . وقد قدّمت فيها ملخصاتٌ لعددٍ كبيرٍ من المقالات البحثية والعلمية . وفي ختام الجلسة ألقى الرئيسُ الخطبةَ الرئاسية ، وكانت كلماته قوية المعنى ، معتدلة الأسلوب ، رائعة التأثير ، وقال في كلمته : إن الشيخ العلامة كان طويل المطالعة ، واسع الفكر ، عميق العلم والفهم منذ أيام طلبه للعلم . كما قدّم أمام الحضور أمثلة رائعة من حياته النموذجية وأعماله المتجددة .

ثم انعقدت الجلسة الثانية تحت رعاية الأستاذ الدكتور أبي الليث الأعظمي ، وأدارها الأستاذ المفتي محمد إحسان القاسمي ، والأستاذ محمد شمشاد الرحماني . وقال الرئيس في خطبته الرئاسية : إن الشيخ العلامة مثالا رائعا لأهل العلم والمعرفة ، وقائدا بارزا ورائدا ناجحا في الرحلة العلمية لشبه القارة الهندية .

وفي الجلسة الثالثة ترأسها حفيدُ العلامة الكشميري ، الشيخ السيد أحمد خضر شاه المسعودي ، شيخ الحديث بدار العلوم وقف ، وأدارها الأستاذ نوشاد نوري القاسمي ، حيث عُرضت بحوثٌ ومقالات أبرزت المكانة العلمية والروحية للعلامة . وأشار رئيس الجلسة في كلمته إلى الحياة الشيخ النموذجية ، مبيناً رسوخ علمه وإخلاص أعماله وجهوده واتزان فكره وتأثيره التربوي العميق .

وأما الجلسة الرابعة ، وهي جلسة ختامية ، فقد انعقدت تحت رعاية الشيخ خالد سيف الله الرحماني ، وأدارها الأستاذ إظهار الحق القاسمي . وألقى الشيخ خالد سيف الله الرحماني كلمة جامعة أبرز فيها ثبات العلامة على المنهج ، وتواضعه ، وإخلاصه في خدمة العلم والدين ، وبراعته في العلوم ، وذاكرته القوية ، وكما ألقى العالم الرباني الجليل الشيخ قمر الزمان الإله آبادي كلمة مؤثرة جامعة حول حياة العلامة الكشميري ، واختتمت هذه الجلسة بدعاءٍ خاشعٍ ، وبه أدّت دار العلوم وقف ديوبند واجب الوفاء تجاه المحدث الجليل ، مؤكدة بقاء آثاره العلمية حيّة عبر الأجيال .

(١) العالم الرباني الشيخ ذو الفقار النقشبندی إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

استأثرت رحمة الله تعالى بالعالم الرباني الشيخ ذي الفقار أحمد النقشبندی المجددي في ٢٢ / جمادى الآخرة سنة ١٤٤٧ هـ ، المصادف ١٤ / ديسمبر عام ٢٠٢٥ م ، يوم الأحد ، عن عمر يناهز ٧٢ / عاماً ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ ذو الفقار النقشبندی من مدينة جهنغ بولاية بنجاب ، في باكستان ، ولد في ١ / أبريل عام ١٩٥٣ م ، درس الشيخ أولاً في المدارس والكلية الحكومية ، ونال شهاداتٍ عصرية في مجالات عديدة ، وخاصة في علم الهندسة ، فكان مهندساً بارعاً ، وقد تعلم خلال ذلك الابتدائية ، ودرس كتب المقررات الفارسية والعربية ، كما حفظ القرآن الكريم بكامله ، وحينما كان الشيخ ذو الفقار في جامعة لاهور ارتبط روحياً بالشيخ السيد زوار حسين شاه مؤلف كتاب عمدة الفقه ، وكان الشيخ زوار عالماً ربانياً في السلسلة النقشبندية ، فتربى عليه ، ودرس عنده رسائل الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي المعروف بمجدد الألف الثاني ، ولما توفي الشيخ زوار اتصل بالشيخ غلام حبيب النقشبندی عام ١٩٨٠ م ، وبعد ثلاث سنوات أجازه الشيخ غلام حبيب إجازة عامة في التزكية والإحسان ، فكان ينفع الناس بعلمه وتقواه ، وقد نال شهادة الحديث الفخرية من جامعة قاسم العلوم بملتان .

قضى الشيخ ذو الفقار النقشبندی عدة سنوات في أمريكا ، ثم عاد إلى وطنه ، وأنشأ هنا عدة مؤسسات تعليمية وتربوية للبنين والبنات ، منها معهد الفقير الإسلامي ، كما أشرف على عدة مدارس دينية في مناطق مختلفة ، وكان يتقن اللغة الإنجليزية ، ويقوم بجولات دعوية وإصلاحية في شتى البلدان ، فكان الشباب والشابات يتأثرون بكلماته وخطبه ، وكان معجباً ومحبباً لدى هذه الطبقة من الناس ، كما كان دأبه أن يقضي شهر رمضان في زامبيا بقارة إفريقيا ، فيجتمع لديه كبار العلماء والدعاة من العالم الإسلامي ، ويستفيدون منه في مجال التزكية والإحسان ، وقد بلغ عدد خلفائه ومحبيه مبلغاً كبيراً ، وهم ينشرون أفكاره وعلومه إلى المجتمعات الإسلامية ، وكان معجباً بعلماء ندوة العلماء ، فيزورهم حيناً آخر في مكة المكرمة حينما يطلع على قدومهم إليها ، وقد زار الشيخ السيد محمد الرابع الحسنی النديوي رحمه الله مرات ، ترك الشيخ وراءه مؤلفات علمية ودينية وإصلاحية ، وقد طبعت خطبه ومواظله في أسفار ومجلدات ضخام ، ولا يزال يستفيد العامة

والخاصة منها ، ومن الكتب الأخرى .
 خلف الشيخ من أسرته زوجته وبناتاً وولدين ، وهما الشيخ سيف
 الله النقشبندی والشيخ حبيب الله النقشبندی ، وآلاف مؤلفة من المحبين
 والمستفيدين ، وقد صلى عليه نجله الشيخ حبيب الله النقشبندی ، ودُفن
 في رحاب معهد الفقير الإسلامي بجهنغ ، وشهد صلاة جنازته عدد كبير
 من الناس ، فنحن إذ نعزي إلى أسرة الشيخ ذي الفقار النقشبندی تعزية
 قلبية ، ندعو الله تعالى أن يدخله جنات الفردوس نزلاً ، ويمطر عليه
 غواصي الرحمة والمغفرة ، ويتقبل منه حسناته وإنجازاته ، ويعفو عن
 تقصيراته ، ويلهم الأهل والأولاد والمحبين الصبر الجميل ، فإن لله ما أخذ ،
 وله ما أعطى ، وكل شيء عنده إلى أجل مسمى .

(٢ - ٣) الأستاذان محمد داؤد الندوي وحبيب أشرف إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ محمد داود الندوي في ٩/
 جمادى الآخرة سنة ١٤٤٧هـ ، المصادف ١ / ديسمبر ٢٠٢٥م ، فإننا لله وإنا
 إليه راجعون .

كان الأستاذ محمد داود الندوي ينتمي إلى أسهى أعظم فور
 بمديرية هردوئي ، ولاية أترابرايش (الهند) ، وكان والده الحافظ
 محمد إبراهيم من أساتذة قسم حفظ القرآن الكريم بدار العلوم لندوة
 العلماء ، درس الابتدائية في وطنه ، ثم التحق بدار العلوم لندوة العلماء ،
 وتخرج في العالمية ، ثم عين مدرسا في مدرسة الإمام أحمد بن عرفان
 الشهيد بزاوية الشيخ علم الله الحسنی ، برائي بريلي ، واشتغل بأمور
 تدريسية وإدارية ، ثم انتقل إلى لكاناؤ ، ولا يزال يدرس في مدرسة مظهر
 العلوم بجلاوان قرب مطار لكاناؤ الدولي ، حتى أصيب بمرض شديد ،
 وأدخل في المستشفى ، لكن لم يكتب له البرء ، ففاضت روحه إلى الله
 تعالى ، وقد صلى عليه في رحاب ندوة العلماء الشيخ السيد بلال عبد
 الحي الحسنی الندوي رئيس ندوة العلماء ونقل جثمانه إلى وطنه ، وتم
 دفنه فيه ، ترك وراءه أهله وابنا له .

وتوفي الأستاذ حبيب أشرف المدرس في المدرسة الرحمانية أحد
 كتاتيب ندوة العلماء بلكاناؤ ، وذلك في ٧ / جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ ،
 المصادف ٢٩ / نوفمبر ٢٠٢٥م ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، كان الأستاذ
 حبيب أشرف من أقرباء الشيخ السيد معيد أشرف الندوي أحد الموظفين
 في مؤسسة الصحافة والنشر لندوة العلماء سابقا ، وكان الأستاذ حبيب
 أشرف مجدا نشيطا في أعماله ، يدرس الأطفال الصغار بحكمة وشفقة
 مزدوجتين حتى فاجأته المنية ، فلبى نداء ربه .
 غفرهما الله تعالى مغفرة تامة ، ورحمهما رحمة واسعة ،
 وأدخلهما في جنات النعيم .

(٣) مؤذن المسجد النبوي الشيخ فيصل بن عبد الملك النعمان

إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى مؤذن المسجد النبوي الشيخ بن عبد الملك النعمان على إثر وعكة صحية أصيب بها ، وذلك مساء يوم الثلاثاء في ٤ / رجب ١٤٤٧ هـ ، المصادف ٢٤ / ديسمبر ٢٠٢٥ م ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

وُلد الشيخ فيصل النعمان في المدينة المنورة ، وتلقى تعليمه في كتاتيب ومدارس المدينة المنورة ، ونال شهادة علمية من جامعة طيبة بالمدينة المنورة ، وسار على خطى والده الشيخ عبد الملك النعمان ، فإنه بدأ الأذان في المسجد النبوي ، وهو في الرابعة عشرة من عمره ، كما كان جده مؤذناً في المسجد النبوي ، وعُيّن الشيخ فيصل النعمان مؤذناً رسمياً في المسجد النبوي وظل على هذا العمل الجليل مدة خمس وعشرين سنة ، عام ١٤٢٢ هـ ، المصادف ٢٠٠١ م ، وظل على هذه الوظيفة يمتع المصلين بأذانه الحلو ، وصوته العذب ، حتى لبى نداء ربه ، وفارق الحياة الدنيا ، ولحق بالرفيق الأعلى .

أديت عليه صلاة الجنازة في المسجد النبوي بعد صلاة الفجر يوم الأربعاء ، ودُفن في مقبرة البقيع ، وقد أبدى على وفاته رئيس شئون الحرمين الشريفين سعادة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس أسفه الشديد ، ودعا له بالرحمة الكاملة والمغفرة التامة ، كما قدم تعازي قلبية إلى أسرة الفقيد رحمه الله رحمة واسعة .

ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في السنة الأولى من الهجرة بغير أذان ، وكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يجتمعون ، ويتحینون موافقتها من غير دعوة ، ثم رأى سيدنا عبد الله بن زيد رضي الله عنه رؤيا في المنام ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بها ، كما رآها كذلك سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن زيد أن يلقي كلمات الأذان على بلال بن رباح ، الذي كان أندى صوتاً ، فكان في مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلال بن رباح ، وعمر بن أم مكتوم ، وأوس بن المغيرة الجمحي ، (أبو محذورة) ، وسعد القرظ رضي الله عنهم ، ولا تزال تستمر هذه السلسلة منذ عهد النبي إلى يومنا هذا ، وإلى يوم القيامة بإذن الله تعالى .

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04



Monthly

Dispatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 72 Issue. No. 03, Jan, Feb 2026

إصدارات حديثة

دَفَائِعُ عَنْ السُّنَنِ

شَهَائِدُ وَدُرَرُ

وَيْلَهُ

أَسْبَابُ ذُرِّ الْمُسْلِمِينَ

شَرْحُ حَدِيثِ الْعِمْنَةِ

دَرَسَةُ حَدِيثِيَّةٍ فِقْهِيَّةٍ

تَأليف

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الذَّكْوَرِ

مُحَمَّدُ دَوْدِيُّ الرَّحْمَنِ الرَّزْوِيِّ

الاستاذ المساعد بكلية الشريعة واللغة العربية

وأصول الحجة - دولة الإمارات العربية المتحدة

مَكْتَبَةُ رَيْنِ تَيْمِيَّةٍ

السَّامِرَةُ